مئة قصة وقصة
في
غرائب وطرائف الحيوانات
أعدها
أبو عبيدة
إبراهيم بن محمود عبد الراضي
دار الإيمان
إسكندرية

مئة قصة وقصة
في
غرائب وطرائف الحيوانات



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٣٢٣٧ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى

977-331-182-1

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مئة قصة وقصة
في
غرائب وطرائف الحيوانات

أعدها

أبو عبيدة
إبراهيم بن محمود عبد الراضي

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد :

فهذه جملة من الطرائف الممتعة ، والنوادر الشيقة ، واللطائف المسلية ، تستحق التوقف عندها ليس فقط لفائدتها الترفيهية ، بل لما تنطوي عليه أيضاً من وظائف اجتماعية ونفسية ، ويظهر ذلك مثلاً في نتاجات الحكايات ، فلا يستطيع شخص أن يرويها لنفسه ، بل لابد من آخر ، أو آخرين ، بل حتى في تلك الأشكال الانعزالية من القصة - أي غير الاجتماعية - أي التي يستطيع الإنسان الاستمتاع بها بمفرده ، مثل الحكايات الهزلية ، والقصص الفكاهية ، غالباً ما يكون هناك تصور ذهني لشخص آخر ، أو لجماعة أخرى من البشر .

فهذه الحكايات من شأنها القدرة على الاقتراب بشكل خاص من النشاطات الخاصة بالنصف الأيمن من المخ ، كالإبداع والخيال والانفعالات .. إلخ .

وبعد فهذه الحكايات من شأنها دفع الكآبة ، وإذهاب السآمة ، حتى يمكن للنفس معاودة نشاطها دونما كسل أو تأفف ، ولا حرج على مسلم أن يمتع نفسه ببعض اللهو المباح ، في نهار أو ليل ، على أن لا يجور ذلك على حق ربه في العبادة .

قال أبو الدرداء : إني لأستجم نفسي ببعض الباطل كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يملها .

ووُصف رجل من النُّسَّاك عند ابن عائشة ، فقالوا : هو جد كله ، فقال :

لقد أضاق على نفسه المرعى وقصر لها طول النهى ، ولو فككها بالانتقال من حال إلى حال لتنفس عنها ضيق العقدة وراجع الجد بنشاط وحدة .

هذا وبالله التوفيق .

أعدها

أبو عبيدة

إبراهيم بن محمود عبد الراضي



(١) القط الأعمى

يُحكى أن ابن بابشاذ النحوي كان يومًا على سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس ، فحضرهم قط ، فرموا له لقمة ، فأخذها في فيه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم ، فرموا له شيئًا ففعل كذلك ، وتردد مرات كثيرة وهم يرمون له ، وهو يأخذ ويغيب به ، ثم يعود من فوره ، حتى عجبوا منه ، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته .

فلما استرابوا حاله تبعوه ، فوجدوه يرقى إلى حائط في سطح الجامع ، ثم ينزل إلى موضع خالٍ ، صورة بيت خراب ، وفيه قط آخر أعمى ، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه ، وهو يأكله ، فعجبوا من تلك الحال .

[وفيات الأعيان (٥١٦/٢)].





﴿٢﴾ وفاء الكلب

قال أبو عبيدة :

قيل ذلك لأن رجلاً خرج إلى الجبان ينظر ركابه فاتبعه كلب كان له ، فضرب الكلب وطرده ، وكره أن يتبعه ، ورماه بحجر ، فأبى الكلب إلا أن يذهب معه ، فلما صار إلى الموضع الذي يريد فيه الانتظار ، ربض الكلب قريباً منه ، فبينما هو كذلك إذا أتاه أعداء له يطلبونه بطائلة لهم عنده ، وكان معه جار له وأخوه دنيا ، فأسلماه وهربا عنه ، فجرح جراحات ، ورُمي به في بئر غير بعيدة القعر ، ثم حُثي عليه التراب ثم غُطي رأسه ، ثم كُمم فوق رأسه منه ، والكلب في ذلك يرخم ويهر ، فلما انصرفوا أتى رأس البئر ، فما زال يعوي وينبش عنه ويحثو التراب بيده ، ويكشفه عن رأسه حتى أظهر رأسه ، فتنفس وردت إليه الروح ، وكاد يموت ، ولم يبق منه إلا حشاشة ، فبينما هو كذلك إذ مر ناس ، فأنكروا مكان الكلب ، ورأوه كأنه يحفر عن قبر ، فنظروا فإذا هم بالرجل على تلك الحال ، فاستشالوه ، فأخرجوه وحملوه حتى أدوه إلى أهله ، فزعم أن ذلك الموضع يُدعى بيئر الكلب .

وهذا العمل يدل على وفاء طبيعي وإلف غريزي ومحاماة شديدة ، وعلى معرفة وصبر وعلى كرم وشكر وعلى غناء عجيب ومنقصة تفوق المنافع ؛ لأن ذلك كله كان من غير تكلُّف ولا تصنُّع .

[الحيوان للجاحظ (١١٢/٢)] .



﴿٣﴾ انتقام الأفيال

عن إبراهيم الخواص - رحمه الله تعالي - قال :

ركبت البحر مع جماعة من الصالحين ، فكسر بنا المركب ، فنجا منّا قوم على لوح من خشب المركب ، فوقفنا على ساحل لا ندري في أيّ مكان هو ، فأقمنا فيه أيّامًا لا نجد ما نقتاته ، فأحسسنا بالموت ، وأيقنا بتلفنا من الجوع لا محالة .

فقال بعضنا لبعض : تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئًا ، فلعله أن يرحمنا ، فيُخلّصنا من هذه الشدّة .

فقال بعضنا : أصوم الدهر كله .

وقال الآخر : أُصلي كل يوم كذا وكذا ركعة .

وقال بعضنا : أَدَعُ لذّات الدنيا .

إلى أن قال كل واحد منهم شيئًا وأنا ساكت ، فقالوا : قل أنت الآخر شيئًا .

فلم يجر على لساني إلا أن قلت : أنا لا آكل لحم فيل أبدًا .

فقالوا : ما هذا القول في مثل هذا الحال ؟

فقلت : والله ، لم أتعمد هذا ، ولكني منذ بدأتم فعاهدتم الله تعالى عليه وأنا أعرض على نفسي أشياء كثيرة فلا تُطاوعني بتركها ، ولا خَطَرَ ببالي شيء أدعه لله تعالى ، ولا مرّ على قلبي غير الذي لفظت به ، وما أُجري على لساني إلا لأمر .

فلما كان بعد ساعة ، قال أحدنا : لم لا نطوف هذه الأرض متفرقين ، فنطلب قوتًا ، فمن وجد شيئًا أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة .

قال : فتفرَّقنا في الطواف ، فوقع بعضنا على ولد فيل صغير ، فلوَّح بعضنا لبعض ، فاجتمعنا ، فأخذه أصحابنا ، واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون ، فقالوا لي : تقدم وكل معنا .

فقلت : أنتم تعلمون أني منذ ساعة تركته لله عز وجل ، وما كنت لأرجع فيه ، ولعلَّ ذلك قد جرى على لساني من ذكري له ، هو سبب موتي من بينكم ؛ لأني ما أكلت شيئًا منذ أيام ، ولا أطمع في شيء آخر ، ولا يراني الله عز وجل أنقض عهده ولو مت جوعًا ، فاعتزلتهم ، وأكل أصحابي .

وأقبل الليل ، فآويت إلى أصل شجرة كنت أبيتُ عندها ، وتفرَّق أصحابي للنوم ، فلم يكن إلا لحظة ، وإذا بفيل عظيم وهو ينعر ، والصحراء تتدكْدَك بنعيره وشدة سعيه ، وهو يطلبنا .

فقال بعضنا لبعض : قد حضر الأجل ، فتشهَّدوا ، فأخذنا في الاستغفار والتسبيح ، وطرح القوم نفوسهم على وجوههم ، فجعل الفيل يقصد واحدًا واحدًا منهم ، فيتشمَّمه من أول جسده إلى آخره ، فإذا لم يُبقِ منه موضعًا إلا شمه ، شال إحدى قوائمه فوضعه عليه ، ففسخه .

فإذا علم أنه لم يبقى غيري وأنا جالس مُنتصبٌ أُشاهد ما جرى وأستغفر الله عز وجل وأُسبّح ، فقصدني الفيل ، فحين قَرُبَ مني ، رميت بنفسي على ظهري ففعل بي من الشم كما فعل بأصحابي ، ثم عاد ، فشمني دفعتين أو ثلاثًا ، ولم يكن فعل ذلك بأحد منهم غيري ، وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعًا .

ثم لفني بخرطومه فجعلني فوق ظهره ، فانتصبتُ جالساً ، واجتهدتُ في حفظ نفسي بموضعي ، وانطلق الفيل ، يهرول تارة ، ويسعى تارة، وأنا تارة أحمد الله تعالى على تأخير الأجل وأطمع في الحياة ، وتارة أتوقع أن يثور فيقتلني ، فأُعاود الاستغفار ، وأنا أُقاسي في خلال ذلك من الألم والجزع، لشدة سرعة سعي الفيل أمراً عظيماً .

فلم أزل على ذلك إلى أن طلع الفجر وانتشر ضوءه ، فإذا به قد لفَّ خرطومه عليّ ، فقلت : قد دنا الأجل وحضر الموت ، وأكثرتُ من الاستغفار ، فإذا به قد أنزلني عن ظهره برفق ، وتركني على الأرض ، ورجع إلى الطريق التي جاء منها ، وأنا لا أُصدق .

فلما غاب عنّي حتى لا أسمع حسّاً ، خررت ساجداً لله تعالى ، فما رفعتُ رأسي حتى أحسست بالشمس ، فإذا أنا على محجة عظيمة ، فمشيت نحو فرسخين ، فانتهيت إلى بلد كبير ، فدخلته ، فعجب أهله منيّ ، وسألوني عن قصتي ، فأخبرتهم بها ، فزعموا أنَّ الفيل قد سار بي في تلك الليلة مسيرة أيام، واستطرفوا سلامتي .

فأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدة التي قاسيتها ، وتندّى بدني، ثم سرت عنهم مع التجار ، فركبت في المركب ، ورزقني الله السلامة ، إلى أن عدت إلى بلدي .

[أنيس الصالحين (ص٨١)] .



(٤) الثعلب والإمام

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - :

كنّا في سفر في أرض اليمن ، فوضعنا سُفْرَتنا لنتعشى ، وحضرت صلاة المغرب ، فقمنا نُصلّي ثم نتعشى ، فتركنا السُّفْرَة كما هي وقمنا إلى الصلاة ، وكان فيها دجاجتان ، فجاء الثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين ، فلما قضينا الصلاة أسفنا عليها ، وقلنا : حُرمنا طعمها .

فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فمه شيء كأنه الدجاجة فوضعه ، فبادرنا إليه لنأخذه ، ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها ، فلما قمنا جاء إلى الأخرى وأخذها من السُّفْرَةِ ، وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه ، فإذا هو ليف قد هيَّأه مثل الدجاجة ! .

[حياة الحيوان (٢/٢٩٢)] .



(٥) النسر والصياد

قال القاضى أبو على التنوخى :

حدثني أبو الفتح البصروي ، قال : حدثني بعض أهل الموصل ، ممن كان مغرىً بالصيد وطلب الجوارح ، أن صياداً من أهل أرمينية ، قال : خرجت إلى الصحراء يومًا ، فنصبت شبكتي ، وجعلت فيها طائراً مُستأنسًا ، ودخلت في كوخ تحت الأرض يسترني وجعلت أنظر إلى الشبكة ، حتى إذا وقع فيها شيء من الصقور أو الشواهين أو غير ذلك من الجوارح أخذته .

فلما كان قريبًا من الظهر ، وإذا بزمجة – نوع من النسور – لطيفة قد طارت على الشبكة ، فلما رأتها نفرت وترجلت قريبًا منها ، فجلست على الأرض ساعة ، فإذا بعقاب جائز ، فلما رآها ترجل معها وجلسا جميعًا ، وإذا بطائر يطير في الجو ، فنهضت الزمجة قبل العقاب وطارت خلف الطائر فلم تُزايله إلى أن صادته ، وجاءت به فنسرته وصار لحمًا ، وأقبلت تأكل ، فجاء العقاب وأكل معها ، فلما فني اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها ، فزاف ثانية ، فضربته أشد من الأولى ، فزاف الثالثة ، فضربته أشد من ذلك ، ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته وطارت .

فتعجبتُ من نفورها من الشبكة وقلت : هي كرزة ، ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة ، ومما سوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته، ثم إنها منعت العقاب من سفادها ، وأنها أطعمته من صيدها ، ثم لم ترض بذلك حتى قتلته لما ألحَّ عليها .

وطمعتُ في أن أصيدها لأصيد بها ما له قيمة ، فبتُ ليلتي في ذلك الكوخ ، فلما كان من الغد ، فإذا هي قد ترجَّلت قريبًا من الشبكة في مثل ذلك الوقت ، فنزل إليها عقاب ، فجلس معها ، وعنَّ لهما صيد ، فجرت صورتها مع العقاب الثاني ، كما جرت مع العقاب الأول سواء ، بلا اختلاف البتة ، وطارت ، فزاد تعجبي وحرصي عليها ، وبت ليلتي الثانية في الكوخ .

فلما كان اليوم الثالث ، فإذا بها قد ترجَّلت على الصورة والرسم ، وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف الجثة وحشي الريش قد ترجَّل ، فما مضت ساعة حتى عنَّ لهما صيد ، فهمت الزمجة بالنهوض فضربها العقاب بجناحه ضربة كاد يقتلها ، ونهض مُسرعًا إلى الطيران حتى اصطاد الطائر ، وجاء به فنسره وطرحه بين يديها ، ولم يذق منه شيئًا حتى أكلت الزمجة واستوفت ، ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقي وفني ، فزاف عليها فزافت له ، ولم تمنعه ، فزاف الثانية فركبها ، فمكنته حتى سفدها ثم طارا معًا .

[حياة الحيوان الكبري (٢/٢٩٢)] .



(٦) الغزالة وحيلة الصقر

ذكر القاضي التنوخي عن فارس بن مشغف قال :

كنت مع هارون بن غريب الحبَّال ، وهو يتصيَّد في طريقه ، إذ عنَّ له غزال ، فأرسل عليه صقراً كان بحضرته ، ولم يكن الكلابون بالقرب منه ، فيُرسلون معه كلباً ؛ لأن العادة أن الصقر لا يصيد غزالاً إلا إذا كان معه كلب، وذلك أن الصقر يطير فيقع على رأسه فيعقره ، ويضرب بجناحيه بين عينيه ، فيمنعه من شدة العدو ، فيلحقه الكلب فيصيده ، هكذا جرت العادة في صيد الغزلان بالصقور ، إلا أن ابن الحبَّال لما لاح له الغزال أطلق الصقر لئلا يفوته الغزال ، وغرَّر به لحوق الكلاب في الحال ، وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو فتلحقه خيلنا ورماحنا .

فطار الصقر وتراكضنا خلفه وأنا ممن ركض ، وجرى الغزال فوافى إلى منحدر في الصحراء فانحدر فيه ، فلما حصل منحدراً سقط الصقر على خده وعنقه ، فأنشب مخلبيه فيهما ، وحمله الغزال ، فرأينا الصقر قد سدل أحد مخلبيه حتى أنه يخطُّ في الأرض ، حتى إذا وصل إلى موضع من الصحراء فيه شوك ، فعلق بأصل شوك عظيم ، ثم جذب عنق الغزال بالمخلب الآخر الذي كان أمسكه به في خده وأصل عنقه ، وإذا به قد دق عنقه وصرعه ، فلحقناه وذكَّيناه .

[حياة الحيوان (٢/٢٩٤)] .



٧ - الحية والسكران

عن يوسف بن الحسين قال

كنت مع دي النون المصري على شاطئ غدير ، فنظرب إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفه ، وإذا بضفدع فد خرجت من العدير ، فركبها العقرب ، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت ، فقال دو النون إن لهده العقرب لشأنًا ، فامض بنا

فجعلنا نقفو أثرها ، فإذا رجل نائم سكران ، وإذا حيَّة قد جاءت ، فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه ، فاستحكمت العقرب من الحيَّة ، فضربتها ، فانقلبت وانفسخت ، ورجعت العقرب إلى الغدير ، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت .

فحرك ذو النون الرجل النائم ، ففتح عينيه ، فقال : يا فتى ، انظر مما نجَّاك الله ، هذه العقرب قتلت هذه الحيَّة التي أرادتك ، ثم أنشأ دو النون يقول :

يا غـافـلاً والجليلُ يحـرسـهُ ... من كُلّ سـوءٍ يدبُّ في الظلمِ
كَـيفَ تنامُ العـيـون عن ملكٍ ... تَأتيك مِنه فـوائدُ النعمِ

فنهض الشاب وقال : إلهي ، هذا فعلك بمن عصاك ، فكيف رفقك بمن يُطيعك ، ثمَّ ولَّى

[العائدون إلى الله (ص١٣١)]



(٨) وليمة الهدهد

حكى القزويني أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أُريد أن تكون في ضيافتي

فقال: أنا وحدي ؟ .

قال: بل أنت وأهل عسكرك ، في جزيرة كذا ، في يوم كذا .

فحضر سليمان عليه السلام بجنوده ، فطار الهدهد فاصطاد جرادة ، فخنقها ورمى بها في البحر وقال: كلوا يا نبي الله ، من فاته اللحم ناله المرق !.

فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً ! .

وفي ذلك قيل :

جاءت سليمانَ يومَ العرضِ هدهدةٌ   أهدتْ له من جرادٍ كان في فيها
وأنشدتْ بلسانِ الحالِ قائلةً   إنّ الهدايا على مقدارِ مُهديها
لو كانَ يُهدي إلى الإنسانِ قيمتَه   لكان يُهدى لك الدنيا وما فيها

[حياة الحيوان (١٣١٢/٨)] .



(٩) نصيحة البومة

عن ابن مسعود ﷺ قال :

كنت عند كعب الأحبار وهو عند عمر بن الخطاب ﷺ فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، ألا أُخبرك بأغرب شيء قرأته في كتب الأنبياء عليهم السلام : إن هامةً جاءت إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، فقالت : السلام عليك يا نبي الله ، فقال : وعليك السلام يا هامة ، أخبريني كيف لا تأكلين الزرعَ ؟ .

قالت : يا نبي الله ، إن آدم أُخرج من الجنة بسببه .

قال لها سليمان : كيف تركت العمران وسكنت الخراب ؟ .

قالت : لأن الخراب ميراث الله ، فأنا أسكن ميراث الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص : ٥٨] فالدنيا ميراث الله كلها ! .

قال سليمان : فما تقولين إذا جلست فوق خربة ؟ .

قالت : أقول أين الذين كانوا يتنعّمون فيها ؟ .

قال سليمان : فما صياحك في الدور إذا مررت عليها ؟ .

قالت : أقول ويل لبني آدم ، كيف ينامون وأمامهم الشدائد ؟! .

قال سليمان ﷺ : فما لك لا تخرجين بالنهار ؟ .

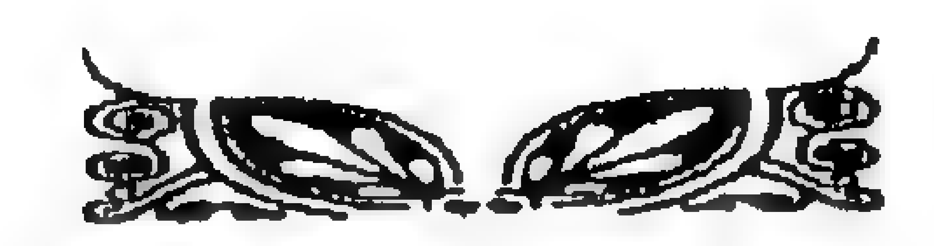
قالت : من كثرة ظلم بني آدم لأنفسهم .

قال : فأخبريني ما تقولين في صياحك ؟

قالت : أقول تزوّدوا يا غافلين ، وتهيّئوا لسفركم ، سبحان خالق النور .

فقال سليمان عليه السلام : ليس في الطيور طير أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة ، وما في قلوب الجهّال أبغض منها .

[حياة الحيوان (١٣٠٦/٨)] .



(١٠) الحمامة والشيخ

حضر الشاعر أبو المحاسن محمد بن نصر الدين المعروف بابن عُنَين مرةً مجلس الإمام الفخر الرازي بخُراسان ، وهو على المنبر يعظ الناس ، فجاءت حمامة خلفها جارح ، فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمستجيرة به ، فأنشأ ابن عُنَين يقول :

جاءت سليمانَ الزمان حمامةٌ ... والموتُ يلمع من جناحي خاطف

قَرِمٍ لواه الجوعُ حتى ظلّه ... بإزائه بقلب واجفِ[١]

مَن أعلم الورقاءَ أن محلَّكم ... حرمٌ وأنك ملجأٌ للخائفِ[٢]

[البداية والنهاية (١٦٠/١٣)] .



---

(١) القرم : الذي اشتدت شهوته إلى أكل اللحم . عجز البيت الثاني مكسور ، ويصح وزنه لو قلنا :
بإزائه دوماً بقلبٍ واجف
متفاعلن مستفعلن مستفعلن . من بحر الكامل .

(٢) الورقاء : الحمامة .

(١١) الصبي الرضيع والكلب

ذكر عن محمد بن حفص عن مسلمة بن محارب أن طاعونًا جارفًا جاء على أهل داره ، فلم يشك في أهل تلك المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير، وقد كان فيها صبي يرتضع ، ويحبو ولا يقوم على رجليه ، فعمد من بقي من المطعونين من أهل تلك المحلة إلى باب تلك الدار فسدّه .

فلما كان بعد ذلك بأشهر تحوّل فيها بعض ورثة القوم ، ففتح الباب ، فلما أفضى إلى عرصة الدار ، إذا هو بصبي يلعب مع أجراء كلبة ، وقد كانت لأهل الدار ، فراعه ذلك ، فلم يلبث أن أقبلت كلبة كانت لأهل الدار ، فلما رآها الصبي جاء إليها، فأمكنته من أطبائها فمصعها ، فظنوا أن الصبي لما بقي في الدار وصار منسيًا واشتد جوعه ، ورأى أجراءها تستقي من أطبائها ، حبا إليها ، فعطفت عليه ، فلما سقته مرة أدامت ذلك له ، وأدام هو الطلب .

والذي ألهم هذا المولود مص إبهامه ساعة يولد من بطن أمه ، ولم يعرف كيفية الارتضاع ، هو الذي هداه إلى الارتضاع من أطباء الكلبة ، ولو لم تكن الهداية شيئًا مجهولاً في طبيعته ، لما مصّ الإبهام ، وحلمة الثدي ، فلما أفرط عليه الجوع واشتدت حالته وطلبت نفسه ، وتلك الطبيعة فيه ، دعته تلك الطبيعة وتلك المعرفة إلى الطلب والدنو ، فسبحان من دبّر هذا وألهمه وسوّاهُ ودلّ عليه ! .

[الحيوان للجاحظ (٢/١٥٥)] .



(١٢) الحمامة المظلومة

زعموا أن حمامتين ذكراً وأُنثى ملأا عشهما من الحنطة والشعير ، فقال الذكر للأنثى : إنَّا إذا وجدنا في الصحاري ما نعيش به ، فلسنا نأكل مما ههنا شيئًا ، فإذا جاء الشتاء ، ولم يكن في الصحاري شيء رجعنا إلى ما في عشنا فأكلناه ، فرضيت الأنثى ، وقالت له : نعم ما رأيت ، وكان ذلك الحب ندياً حين وضعاه في عشهما .

فانطلق الذكر فغاب ، فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر ، فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصًا ، فقال لها : أليس كنَّا أجمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئًا ؟ فلمَ أكلته ؟ فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئًا ، وجعلت تعتذر إليه، فلم يصدقها ، وجعل ينقرها حتى ماتت ، فلما جاءت الأمطار ، ودخل الشتاء تندى الحب ، وامتلأ العش كما كان .

فلما رأى الذكر ذلك ندم ، ثم اضطجع إلى جانب حمامته ، وقال : ما ينفعني الحب والعيش بعدك ، إذا طلبتك فلم أجدك ، ولم أقدر عليك ، وإذا فكرت في أمرك وعلمت أني قد ظلمتك ، ولا أقدر على تدارك ما فات ، ثم استمر على حزنه ، فلم يطعم طعامًا ولا شرابًا حتى مات إلى جانبها .

[كليلة ودمنة (ص ٢٤٠)] .



(١٣) الكلب والرغيف

عن ابن شداد قال :

رأيت رجلاً له كلب يُقربه ويُغطيه بديباج كان عليه ، فسألته عن السبب، فقال : كان لي رفيق يُعاشرني ، فخرجنا في سفر ، وكان في وسطي هميان فيه جملة دنانير ، ومعي متاع كثير ، فنزلنا في موضع ، فعمد إليَّ فأوثقني كتافًا ، ورمى بي في وادٍ ، وأخذ ما كان معي ومضى ، وقعد هذا الكلب معي ، ثم تركني ومضى ، فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف ، فطرحه بين يدي، فأكلته ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء ، فشربت منه ، ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي .

ثم نمتُ ففقدته ، فما كان بأسرع أن وافاني ومعه رعيف فأكلته ، فلما كان في اليوم الثالث غاب عني ، فقلت يمضي ويجيئني بالرغيف ، فجاء ومعه الرغيف ، فرمى به ، فلم أستتم أكله إلا وابني يبكي على رأسي ، وقال : ما تصنع ههنا ، وما قصتك ؟ ، ونزل وحلَّ كتافي ، وأخرجني .

فقلت له : من أين علمت بمكاني ؟ ومن دلَّك عليَّ ؟ فقال : كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف على اسمه ، فلا يأكله وقد كان معك ، فأنكرنا رجوعه ولست معه ، وكان يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدو ، فأنكرنا أمره ، فاتبعته حتى وقفت عليك ، فهذا خبري وخبر الكلب .

[الأذكياء (ص٢٩٨)] .



(١٤) الحدياة والجارية

كانت أعرابية تخدم نساء النبي ﷺ ، وكانت كثيراً ما تتمثّل بهذا البيت :

ويوم الوشاحِ من أعاجيب ربّنا على أنه من ظلمة الكفر نجّاني

فقالت لها عائشة رضي الله عنها : ما هذا البيت الذي أسمعه منك ؟ .

فقالت : شهدت عروسًا لنا تُجلى ، إذ دخلت مُغتسلاً لنا وعليها وشاح فوضعته ، فجاءت الحدياة [(١)] ، فأبصرت حمرته ، فأخذته ، ففقدوا الوشاح ، فاتهموني به ، ففتشوني ، فدعوت الله أن يبرّأني ، فجاءت الحدياة بالوشاح حتى ألقته بينهن ..

فلو رأيتني يا أم المؤمنين ، وهنّ يقلن اجعلينا في حلّ ، فنظمت ذلك في بيت ، فأنا أنشده لئلا أنسى النعمةَ فأترك شكرها .

[حياة الحيوان (٣٩١/٣)] .



(١) أي الحِدأة ، ويُسميها العوام (حدّاية) .

﴿١٥﴾ القطة والفارة

سمعت أن فأرة أتاها ... ينعى لهـا فتاها [1]

يصيح يا لي من نحوس بختي ... من سلط القط على ابن اختي

فولولت وعضت الترابا ... وجمعت للمأتم الأترابا

وقالت اليوم انقضت لذّاتي ... لا خير لي بعدك في الحياةِ

من لي بهر مثل ذاك الهر ... يريحني من ذا العذاب المر

وكان بالقرب الذي تريدُ ... يسمع ما تبدي وما نُعيدُ

فجاءها يقول يا بشراكِ ... إن الذي دعوتِ قد لبّاكِ

ففزعت لما رأته الفاره ... واعتصمت منه ببيت الجاره

وأشرفت تقول للسفيهِ ... إن مت بعد ابني فمن يبكيهِ ؟

[الشوقيات (٤/١٨٣)] .



---

(١) عجزُ هذا البيت مكسور ، ويُمكن إصلاح وزنه هكذا :
صديقها ينعي لها فتاها
متفعلن مستفعلن فعولن من بحر الرجز

(١٦) الحمار العاشق

يُروى عن بشَّار بن برد أنه مات له حمار فقال :

رأيت حماري البارحة في النوم ، فقلت له : ويلك ، ما لك متّ ؟ قال : ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الأصبهاني فرأيت أتاناً [1] عند بابه فعشقتها ، وأنشدني :

سـيـدي مل بعناني ... نحـو باب الأصبهاني
إن بالبـاب أتانًا ... فضلتْ كلَّ أتانِ
تيَّمتني يومَ رحنا ... بثناياها الحِسانِ
وبغـنـجٍ ودلالٍ ... سلَّ جسمي وبراني
ولهـا خـدٌّ أسيلٌ ... مثل خدِّ الشيقراني

فبها مت ولو عشت إذًا طال هواني

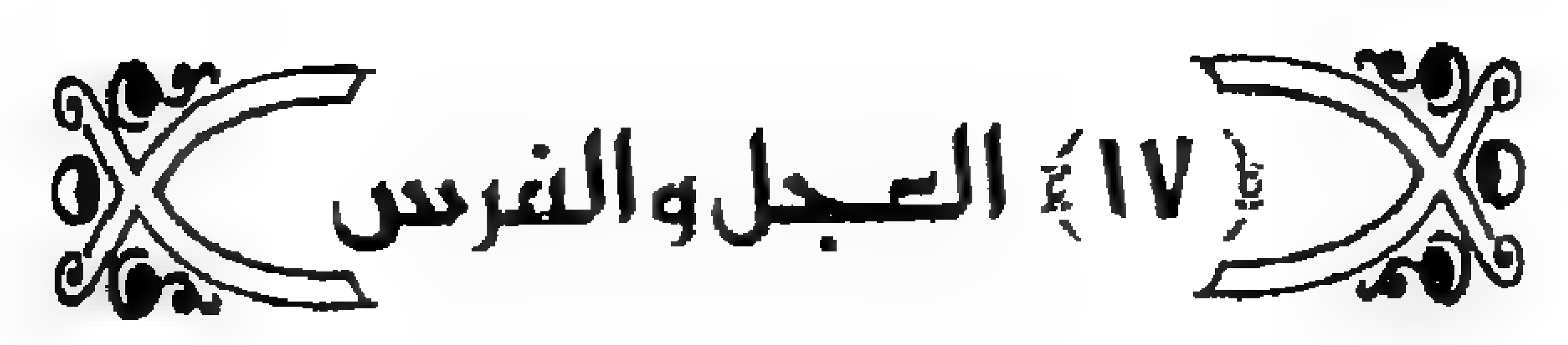
فقال له رجل : يا أبا معاذ ، وما الشيقران ؟ قال : هذا من غريب الحمير، فإذا لقيتم حماراً فسلوه .

[العقد الفريد (٤٤٢/٦)] .



---

(١) الأُتان : أنثى الحمار .



١٧ العجل والفرس

عن عكرمة قال :

كانت القضاة ثلاثة – يعني في بني إسرائيل – فمات واحد ، فجُعل الآخر مكانه ، فقضى ما شاء الله أن يقضي ، فبعث الله ملكًا على فرس ، فمر على رجل يسقي بقرةً معها عجل ، فدعا الملك العجل ، فتبع العجل الفرس ، فجاء صاحبه ليرده ، فقال : يا عبد الله ، عجلي وابن بقرتي .

فقال الملك : بل هو عجلي وابن فرسي .

فخاصمه حتى أعياه . فقال : القاضي بيني وبينك .

قال : لقد رضيت .

فارتفعا إلى أحد القضاة ، فتكلم صاحب العجل ، فقال له : مرَّ بي على فرس ، فدعا عجلي ، فتبعه فأبى أن يردَّه .

قال : ومع الملك ثلاث دُرَّات لم ير الناس مثلها ، فأعطى القاضي دُرَّةً ، وقال : اقض لي .

فقال : كيف يسوغ هذا ؟ .

فقال : تُرسل العجل خلف الفرس والبقرة ، فأيهما تبعها فهو ابنها . ففعل ذلك ، فتبع الفرس ، فقضى له .

فقال صاحب العجل : لا أرضى ، بيني وبينك القاضي الآخر .

ففعلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث فقصَّا عليه قصتهما ، وناوله الملك الدرَّة الثالثة ، فلم يأخذها ، وقال : لا أقضي بينكما اليوم .

فقالا : ولم لا تقضي بيننا ؟ .

فقال : لأني حائض .

فقال الملك : سبحان الله ، رجل يحيض ؟! .

فقال القاضي : سبحان الله ، وهل تنتج الفرس عجلاً ؟ فقضى لصاحب البقرة .

فقال الملك : إنكم إنما ابتُليتم ، وقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك .

[البداية والنهاية (٢٥٣/٢٥٢/٩)] .



(١٨) الحمامة المطوقة وشبكة الصياد

زعموا أنه كان بمدينة داهر مكان كثير الصيد ، وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان ملتفّة الورق ، فيها وكر غراب ، فبينما هو ذات يوم إذ بَصُرَ بصياد على عاتقه شبكة ، ثم إن الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب ، وكمن – قعد – قريبًا منها ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مرت به حمامة ، يُقال لها المطوّقة ، وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير ، فعميت هي وأصحابها عن الشرك ، فوقعن على الحب يلتقطنه ، فعلقن في الشبكة كلهن ، وأقبل الصياد فرحًا مسروراً ، فجعلت كل حمامة تضطرب ، وتلتمس الخلاص لنفسها .

قالت المطوّقة : لا تخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها ، ولكن نتعاون جميعًا ، فنقلع بالشبكة ، فينجو بعضنا ببعض ، فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن ، وعلون في الجو .

ولم يقطع الصياد رجاءه منهن ، وظن أنهن لا يجاوزن إلا قريبًا ويقعن ، فقال الغراب : لأتبعهن ، وأنظر ما يكون منهن ، فالتفتت المطوّقة ، فرأت الصياد يتبعهن ، فقالت للحمام : هذا الصياد مُجِدٌّ في طلبكن ، فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ، ولم يزل يتبعنا ، وإن نحن توجهنا إلى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف ، وبمكان كذا جرذ – فأر – هو أخ لي ، فلو انتهينا إليه قطع عنّا هذا الشرك .

ففعلن ذلك ، وأيس الصياد منهن ، وانصرف ، وتبعهن الغراب ، فلما

انتهت المطوَّقة إلى الجرذ أمرت الحمام أن يسقطن ، فوقعن فنادت عليه المطوَّقة.

فأجابها من جحره : من أنت ؟ .

قالت : أنا المطوَّقة ، فأقبل إليها يسعى .

فقال لها : ما أوقعك في هذه الورطة ؟.

قالت له : ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير.

ثم إن الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوَّقة ، فقالت له المطوَّقة : ابدأ بقطع عقد سائر الحمام ، وبعد ذلك أقبل على عقدي ، وأعادت ذلك عليه مراراً ، وهو لا يلتفت إلى قولها ، فلما أكثرت عليه القول وكرَّرت ، قال لها : لقد كرَّرت القول علي كأنك ليس لك في نفسك حاجة ، ولا لك عليها شفقة ، ترعين لها حقاً .

قالت : إني أخاف إن بدأتَ بقطع عقدي أن تمل وتكسل عن قطع ما بقى ، وعرفت أنك إن بدأت بهن قبلي ، وكنت أنا الأخيرة لم ترض – وإن أدركك الفتور – أن أبقى في الشرك – الشبكة – .

قال الجرذ : هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك ، ثم إن الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها ، فانطلقت المطوَّقة وحمامها معها .

[كليلة ودمنة (ص ١٦٦)] .



(١٩) حمار الغلام

مر بعض الملوك بغلام وهو يسوق حماراً غير متبعث ، وقد عنف عليه في السوق .

فقال : يا غلام ارفق به .

فقال الغلام : أيها الملك ، في الرفق به مضرّة عليه .

قال : وكيف ذلك ؟ .

قال : يطول طريقه ، ويشتد جوعه ، وفي العنف به إحسان إليه .

قال : وكيف ذلك ؟ .

قال : يخف حمله ، ويطول أكله .

فأعجب الملك بكلامه ، وقال : قد أمرت لك بألف درهم .

قال : رزق مقدور ، وواهب مشكور .

قال الملك ، وقد أمرت بإثبات اسمك في حشمي .

قال : كُفيتُ مئونة ، ورُزقتُ معونة .

فقال له الملك : عظني ، فإني أراك حكيماً .

فقال : أيها الملك ، إذا استوت بك السلامة ، فجدّد ذكر العطب ، وإذا هنأتك العافية ، فحدّث نفسك بالبلاء ، وإذا اطمأنّ بك الأمن ، فاستشعر الخوف ، وإذا بلغت نهاية العمل ، فاذكر الموت ، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها في الإساءة نصيباً .

فأُعجب الملك بكلامه ، وقال : لولا أنك حديث السن لاستوزرتُكَ .

فقال الغلام : لن يعدم الفضل من رُزِقَ العقل .

قال الملك : فهل تصلح لذلك ؟ .

قال : إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها .

فاستوزره فوجده ذا رأي صائب وفهم ثاقب ، ومشورة تقع موقع التوفيق .

[حياة الحيوان للدميرى (٤٢٧/٣)] .



(٢٠) الأسد والذئب والثعلب

زعموا أن أسداً وذئبًا وثعلبًا اصطحبوا فخرجوا يتصيَّدون ، فصادوا حماراً وظبيًا وأرنبًا ، فقال الأسد للذئب : اقسمْ بيننا صيدنا ، قال : الأمر أبين من ذلك الحمار والأرنب لأبي معاوية ، والظبي لي ، قال : فخبطه الأسد ، فأندر رأسه .

ثم أقبل على الثعلب وقال : قاتله الله ما أجهله بالقسمة ، ثم قال : هات أنت .

قال الثعلب : يا أبا الحارث ، الأمر أوضح من ذلك ، الحمار لغدائك ، والظبي لعشائك ، وتخلل بالأرنب بين ذلك .

قال الأسد : ويحك ما أقضاك ! ، من علَّمك هذه القضية ؟

قال : رأس الذئب النادر بين عيني .

[الأذكياء (ص٣٠٩)] .



﴿٢١﴾ الإبل والخنفشار

كان رجلاً يُفتي كل سائل دون توقف ، فلحظ أقرانه ذلك منه ، فأجمعوا أمرهم لامتحانه بنحت كلمة ليس لها أصل هي (الخنفشار) ، فسألوا عنها ، فأجاب على البديهة بأنه نبت طيب الرائحة ينبت بأطراف اليمن إذا أكلته الإبل عقد لبنها ، وقال شاعرهم اليماني :

لقد عقدت محبتكم فؤادي كما عقد الحليب الخنفشار

وقال داود الأنطاكي في تذكرته كذا ، وقال فلان وفلان ، وقال النبي ﷺ : ...

فاستوقفوه وقالوا : كذبت على هؤلاء فلا تكذب على النبي ﷺ ، وتحقّق لديهم أن ذلك المسكين جراب كذب .

[ترهيب الأخوان (ص ٤٢، ٤٣)] .



﴿٢٢﴾ التاجر والحمامتان

خرج التاجر الصالح من الموصل ، لبيع بعضًا من الأغنام والأبقار والإبل في حلب ، واستقر في أحد الفنادق حتى الصباح ، ثم خرج إلى سوق المواشي، وعرض ما معه على تجار الجملة ، ويسَّر الله عليه ببيعها وقبض ثمنها نقداً ، وفي طريق عودته خرج عليه لص خطير وقاطع طريق ، فسلَّ خنجره ، وأخذ ما معه من مال ، واستغاث التاجر ولا مغيث ، فقد أراد اللص أن يذبحه بخنجره .. فتوسَّل التاجر إليه أن لا يقتله ، وليأخذ جميع ما يملك .. ولكن خنجر القاتل كان يعملُ عمله في جسد التاجر حتى سقط جثة هامدة ..

وكان التاجر في استغاثته وتوسُّله ينظر يميناً وشمالاً لعله يجد من يُغيثه ويستجيب لتوسُّلِه ، ولكنه لم يجد أَحداً من الناس ، ووجد فوق الشجرة التي ذُبح تحتها حمامتين ، فقال : وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أيتها الحمامتان اشهدا، وقهقه قاطع الطريق ، وهو ينهض عن فريسته بعد أن فارقت الحياة قائلاً : أيتها الحمامتان اشهدا .. ومضى إلى سبيله ، وهو يضحك كأنه سمع نكتة تستحق القهقهة والضحك .

وانتظر أولاد التاجر وأهله في الموصل عودة أبيهم من رحلته التجارية ، وطال انتظارهم دون جدوى ، وسافر ولده الأكبر إلى مدينة حل ؛ ليسأل عن أبيه ، فقيل له : أن والده نزل في فندق كذا ، وباع أغنامه في اليوم الفلاني ، ووُجد مقتولاً في اليوم الذي باع فيه ما معه ، ودفن في مقابر الغرباء ، وقاتله وسالب أمواله مجهول ، ودقَّ باب الوالي ، وباب القاضي ، وأبواب من يعرف من الناس ومن لا يعرف ، فكان جواب الجميع : القاتل مجهول الهوية ، وبذل

جهوداً كبيرة؛ ليعرفَ شيئاً عن مقتل أبيه، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح .

وعاد الفتى إلى الموصل ، فطرق باب الوالي والقاضي يسألهما العون ، فكتبا إلى والي حلب وقاضيها ، فكان الجواب : القاتل مجهول الهوية .

وانتهت قضية التاجر القتيل إلى باب مسدود ، فتقبَّل أولادُه التعازي ، وأوكلوا قضيته إلى الله ، وتعاقبت السنون وتبدَّل الولاة والقضاة عدة مرَّات ، ونسيَ الناسُ قصة الاغتيالِ والسلبِ ، ونسوا القتيل السليب ، ولكن رجلاً واحداً لم ينس تلك القضية ، هو القاتل ، ظلَّ يذكرها ، وبخاصة حين يرى الحمام مرفرفاً ، أو على الشجر ، فيتخيل شبح القتيل أمامه ، وهو ينادي أيتها الحمامتان اشهدا .

وفي يوم من الأيام لبّى دعوة من دعوات العشاء على مائدة أحد أقربائه ، وكانت الوليمة تضم أشتاتاً وألواناً من الناس ، ونظر إلى أطباق الطعام ، فوجد أمامه مباشرة طبقاً فيه حمامتان ، وحملق الرجل فيهما طويلاً ، وتذكر قصة القتيل الذي استنجد بالحمامتين لتشهدا له ، فأطرق رأسه يستعيد تفاصيل جريمته ، ثم قهقه قهقهة لا إرادية يستعيد بها قهقهته الإرادية ، وهو يُجهز على القتيل ، كأنه نسي الوليمة والمدعوين ، ولفت بوجومه الطويل ، ثم قهقهته الطويلة المدعوين من حوله ، فليس هناك ما يدعو للضحك ، ولاحقته الأنظار المُستغربة ، وبشكل لا إرادي ، تنهدَّ طويلاً ، وانطلق يُحدِّث مَنْ حوله عن قصة المنكوب القتيل ، كأنَّ قوة خفية قاهرة ، تُحرِّك لسانه بشكل لا إرادي ، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وأفشاها للحاضرين .

ولم يكد يُتم حديثه إلا وشعر بأن عبئاً ثقيلاً قد تخلَّى عن عاتقه ، ولكن حديثه أذهل الحاضرين ، وثاب إلى رشده ، وندم على إفشائه سره ، ولكن بعد فوات الأوان .

وأصبحت القصة بعد ساعات من إذاعتها حديث المجالس في كل مكان من مدينة حلب ، وسمعها والي حلب ، فأمر بتوقيف المتهم على ذمة التحقيق، وأمر قائد الشرطة أن يبدأ التحقيق الرسمي ، فاستقدم الذين سمعوا القصة من المتهم مباشرة ، وهم على مائدة العشاء ، فسجّل أقوال الشهود ، واستدعى قائد الشرطة المتهم، وأطلعه على الشهود ، فانهار المتهم ، واعترف بجريمته النكراء ، وأُحيلت أوراق القاتل إلى قاضي المدينة ، فحكم عليه بالإعدام شنقًا حتى الموت .

وقال والي المدينة : لقد شهدتا .. وقال قاضي المدينة : لقد شهدتا ...

وقال قائد الشرطة : لقد شهدتا .. وقال الناس : لقد شهدتا ..

وفي ليلة تنفيذ إعدام القاتل ، سألته زوجه : كيف أبحت بسرك المكنون بعد أن كتمته سنين طويلة ، فكان جوابه إن إرادة قاهرة شلت إرادتي وأجبرتني على الكلام .

وفي فجر اليوم التالي اُقتيد القاتل السالب إلى ساحة الإعدام ، وهمهم حين وُضع الحبل حول عنقه ، لم أتكلم بلساني بل بلسان الحمامتين اللتين كانتا في الطبق المستقر أمامي في دعوة العشاء ، واجتمعت حشود من الناس حول جثة المصلوب ، وهي تهزج فرحة بإنقاذ المجتمع من مجرم شرير، وفجأة انقلب هزيج الحشود الضخمة إلى تهليل وتكبير ، فقد استقرت حمامتان فوق رأس المصلوب لا تتحركان ..

وهتفت الحشود بصوت واحد : لقد شهدتا .

[أنيس الصالحين وسمير المتقين (٢/٩٠)] .



(٢٣) الشاة والأعرابي

خرج عبيد الله بن عباس - رحمهما الله - يُريد معاوية ، فأصابته السماء وهو في أرض قفر ليلاً ، فرُفعت له نار ، فقال لغلامه مقسم : اقصد بنا النار .

فأتاها ، فإذا شيخ معه أهله ، وكان عبيد الله من أجمل الناس ، فلما رآه الشيخ أعظمه ، وقال لامرأته : إن كان هذا قرشيّاً ، فهو من بني هاشم ، وإن كان يمانياً فهو من بني آكل المرار ، فهيئي لنا عنزك ، أقضي بها ذمامه .

فقالت له امرأته : إذاً تموت ابنتي من الجوع .

قال الشيخ : الموت خير من اللؤم ، فأخذ الشفرة ، وقام إلى العنز وهو يقول :

قرينتا لا توقظي بنيّه إن توقظيها تنتحب عليّه
وتنزع الشفرة من يديّه أبغض بهذا وبذا إليّه

فذبحها وحدّث عبيد الله حتى نضجت ، فأكل عبيد الله منها وبات ليلته ، فلما قرب الرحيل ، قال لمقسم : كم معك من نفقتنا ؟ .

قال : خمسة مائة دينار .

قال : ألقها إلى الشيخ .

قال مقسم : سبحان الله ! ، إنما كان يكفيه أن تضاعف له ثمن عنزه ، والله ما يعرفك ، ولا يدري من أنت .

قال : لكني أعرف نفسي ، وأدري من أنا ، هذا لم يكن له من الدنيا غير

هذه العنز ، فجاد لنا بها وهو لا يعرفنا ، فخرج من دنياه ، وأعطيناه بعض دنيانا فهو أجود منا .

وسار عبيد الله حتى قدم على معاوية ، وقضى حوائجه ، فلما انصرف قال: يا مقسم ، مر بنا على الشيخ ننظر كيف حاله ، فإذا إبل عظيمة ، وأنشده الشيخ شعراً قال فيه :

توسمته لما رأيتُ مهابةً ... عليه وقلت : المرء من آل هاشمِ

وإلا فمن آل المرار فإنَّهم ... ملوكُ ملوكٍ من ملوكٍ خضارمِ

فقمت إلى عنز بقيَّة أعترٍ ... فاذبحها فعل امرئ غير عاتمٍ (١)

فعوَّضني منها غناي ولم تكنْ ... تُساوي عناقي(٢) غير خمس دراهمِ

فقلت لعرسي -في الخلا- وصبيَّتي ... أألحق هذا أو هُو أضغاث حالمِ

فقالوا جميعًا : لا ، بل الحق هذه ... يخب بها الركبانُ وسط المواسمِ

بخمس مئين من دنانير عوَّضت ... من العنز ما جاءت بها كف حاتمِ

فلما ارتحل عبيد الله سار الشيخ في العرب بالذي صنع عبيد الله ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : لله عبيد الله ، من أي بيضة خرج ، ومن أي عشٍ درج؟! وهذا لعمري من فعلاته .

[لباب الآداب (ص٩٩)] .



(١) عاتم : أي غير مُبطئ .

(٢) العناق : العنز الصغيرة .

(٢٤) الحية والقرد

زعموا أن جماعة احتفروا ركية ، فوقع فيها رجل صائغ وحيَّة وقرد وببر – سبع – ومر بهم رجل سائح ، وأشرف على الركية ، فبصر بالرجل والحية والببر والقرد ، ففكَّر في نفسه ، وقال : لست أعمل لآخرتي عملاً أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء ، فأخذ حبلاً وأدلاه إلى البئر ، فتعلَّق به القرد لخفته فخرج ، ثم أدلاه ثانية ، فالتفت به الحيَّة فخرجت ، ثم أدلاه الثالثة ، فتعلَّق به الببر فأخرجه .

فشكرن له صنيعه وقلن له : لا تُخرجْ هذا الرجل من الركية ، فإنه ليس أقل شكراً من الإنسان ، ثم هذا الرجل خاصة .

ثم قال له القرد : إن منزلي في جبل قريب من مدينة يُقال لها نوادرخت .

فقال له الببر : أنا أيضاً في أجمة – غابة – إلى جانب تلك المدينة .

قالت الحيَّة : أنا أيضًا في سور تلك المدينة ، فإن مررت بنا يومًا من الدهر واحتجت إلينا فَصَوِّتْ – صِحْ – علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف .

فلم يلتفت السائح إلى ما ذكروا له من قلة شكر الإنسان ، وأدلى الحبل ، فأخرج الصائغ ، فسجد له ، وقال له : لقد أوليتني معروفًا ، فإن مررت يومًا بمدينة نوادرخت ، فاسأل عن منزلي ، فأنا رجل صائغ ، لعلي أكافئك بما صنعت إليَّ من المعروف .

فانطلق الصائغ إلى مدينته ، وانطلق السائح إلى جانبه ، فعرض بعد ذلك

أن السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة ، فانطلق فاستقبله القرد ، وقبَّل رجليه ، واعتذر إليه ، وقال : إن القرود لا يملكون شيئًا ، ولكن اقعد حتى آتيك ، وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيِّبة ، فوضعها بين يديه ، فأكل منها حاجته .

ثم إن السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة ، فاستقبله الببر ، وقال له : إنك قد أوليتني معروفًا فاطمئنْ ساعة حتى آتيك ، فانطلق الببر ، فدخل بعض الحيطان إلى بنت الملك ، فقتلها ، وأخذ حُلِيَّها ، فأتاه به من غير أن يعلم السائح من أين هو .

فقال في نفسه : هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء ، فكيف لو قد أتيت إلى الصائغ ؟ ، فإنه إن كان معسرًا لا يملك شيئًا ، فسيبيع هذا الحُليّ فيستوفي ثمنه ، فيُعطيني بعضه ويأخذ بعضه ، وهو أعرف بثمنه .

فانطلق السائح ، فأتى إلى الصائغ ، فلما رآه رحَّب به وأدخله في بيته ، فلما بصر بالحُليّ معه عرفه ، وكان هو الذي صاغه لابنة الملك ، فقال للسائح: اطمئن حتى آتيك بطعام ، فلست أرضى لك ما في البيت ، ثم خرج وهو يقول : قد أصبت فرصتي ، أريد أن أنطلق إلى الملك وأدلَّه على ذلك ، فتحسُن منزلتي عنده .

فانطلق إلى باب الملك ، فأرسل إليه : إن الذي قتل ابنتك وأخذ حُليّها عندي ، فأرسل الملك وأتى بالسائح ، فلما نظر الحلي معه لم يُمهله ، وأمر به أن يُعذَّب ، ويُطاف به في المدينة ، ويُصلب .

فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته : لو أني أطعت القرد والحيَّة والببر فيما أمرنني به ، وأخبرنني من قلة شكر الإنسان ، لم يصر

أمري إلى هذا البلاء ، وجعل يُكرِّر هذا القول .

فسمعت مقالته تلك الحيَّة ، فخرجت من جحرها فعرفته ، فاشتد عليها أمره ، فجعلت تحتال في خلاصه ، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك ، فدعا الملك أهل العلم ، فرقوه ليشفوه ، فلم يُغنوا عنه شيئًا ، ثم مضت الحيَّة إلى أخت لها من الجنِّ ، فأخبرتها بما صنع السائح إليها من المعروف ، وما وقع فيه .

فرقَّتْ له وانطلقت إلى ابن الملك وتخايلت له وقالت له : إنك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلماً .

وانطلقت الحية إلى السائح ، فدخلت عليه السجن ، وقالت له : هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف – إلى غير أهله – ولم تُطعني ، وأتته بورق ينفع من سمها ، وقالت له : إذا جاءوا بك لترقى ابن الملك ، فاسقه من ماء هذا الورق فإنه يبرأ ، وإذا سألك الملك عن حالك ، فاصدقه ، فإنك تنجو إن شاء الله تعالى ، وإن ابن الملك أخبر أنه سمع قائلاً : إنك لن تبرأ حتى يرقيك هذا السائح الذي حُبِسَ ظلماً .

فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقي ولده ، فقال : لا أُحسن الرقى ، ولكن اسقيه من ماء هذه الشجرة ، فيبرأ بإذن الله تعالى ، فسقاه ، فبرئ الغلام ، ففرح الملك بذلك ، وسأله عن قصته ، فأخبره ، فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة ، وأمر بالصائغ أن يُصلب ، فصلبوه لكذبه ، وانحرافه من الشكر ، ومُجازاته الفعل الجميل بالقبيح .

[كليلة ودمنة (ص٢٥٠)] .



٢٥ الكلب والديك والحمار

قال مسروق :

كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك ، وكان الديك يوقظهم للصلاة، والكلب يحرسهم ، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم .

فجاء الثعلب ، فأخذ الديك ، فحزنوا له ، وكان الرجل صالحًا ، فقال : عسى أن يكون خيراً ! .

ثم جاء الذئب فخرق بطن الحمار فقتله ، فقال الرجل : عسى أن يكون خيراً ! .

ثم أُصيب الكلب بعد ذلك ، فقال : عسى أن يكون خيراً ! .

ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا ، فإذا قد سُبِيَ مَنْ كان حولهم وبقوا سالمين ، وإنما أُخذوا أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة ، فكانت الخيرة في هلاك ما كان عندهم من ذلك ، كما قدَّر الله سبحانه وتعالى ، فمن عرف خَفِيَّ لطفِ الله رضي بفعله .

[حياة الحيوان للدميري (٣/٤١١)] .



(٢٦) الفخ والعصفور

نصب رجل من بني إسرائيل فَخًّا من ناحية الطريق ، فجاء عصفور فسقط، ثم انطلق إلى الفخِّ ، فقال للفخ : ما لي أراك مُتباعداً عن الطريق ؟

قال : أعتزل شرورَ الناس .

قال : فما لي أراك ناحل الجسم ؟ .

قال : أنحلتني العبادة .

قال : فما هذا الحبل على عطفيك ؟ .

قال : المسوح والشعر لبس الرهبان والزهَّاد .

قال : فما هذا العصا في يدك ؟ .

قال : أتوكأ عليها .

قال : فما هذه الحبَّة في فيك ؟ .

قال : رصدتها لابن السبيل أو المحتاج .

قال : فأنا ابن سبيل ومحتاج .

قال : فدونك .

قال : فوضع العصفور رأسه في الفخِّ .

فأخذ بعنقه ، فقال العصفور : سيق سيق ، ثم قال : لا غرني بعدك قارئ مرائي مرَّةً أخرى .

[الأذكياء (ص٣٠٨)] .



(٢٧) الصدقة والأسد

كان لامرأة ابن غاب عنها غيبةً طويلة ، وأيست منه ، فجلست يومًا تأكل ، فحين كسرت اللقمة وأهوت بها إلى فيها ، وقف بالباب سائل يستطعم ، فامتنعت من أكل اللقمة ، وحملتها مع تمام الرغيف ، فتصدقت بها ، وبقيت جائعة يومها وليلتها ، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قدم ابنها ، فأخبرها بشدائد عظيمة مرّتْ به .

وقال : أعظم ما جرى عليّ ، أني كنت منذ أيّام أسلك في أجمة في الموضع الفلاني ، إذ خرج عليّ أسد ، فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت راكبه ، وغار[1] الحمار ، ونشبت مخالب الأسد في مرفعة كانت عليّ ، وثياب تحتها وجبّة ، فما وصل إلى بدني كبير شيء من مخالبه .

إلا أنني تحيُّرتُ ودهشت ، وذهب أكثر عقلي ، وهو يحملني حتى أدخلني أجمة كانت هناك ، وبرك عليّ ليفترسني ، فرأيت رجلاً عظيم الخلق ، أبيض الوجه والثياب ، وقد جاء حتى قبض على الأسد من غير سلام وشاله وخبط به على الأرض ، وقال : قُم يا كلب ، لقمة بلقمة .

فقام الأسد يهرول ، وثاب إليّ عقلي ، فطلبت الرجل ، فلم أجده ، وجلست بمكاني ساعات إلى أن رجعتْ إليّ قوتي ، ثم نظرت إلى نفسي ، فلم أجد بها بأسًا ، فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت منها ، فتعجّبوا لما رأوني ، فحدثتهم حديثي ، ولم أدر ما معنى قول الرجل : لقمة بلقمة .

فنظرت المرأة ، فإذا هو وقت أخرجت اللقمة من فمها ، فتصدّقتْ بها .

[أنيس الصالحين (ص١٥)] .

---

(١) تعبير بغدادي ، مازال مُستعملاً يعني أغار ، أي أسرع في عدوه .

(٢٨) الكلب والملاهي

كان إبراهيم الخوّاص جالسًا في مسجد الري وعنده جماعة ، إذ سمع ملاهي من الجيران ، فاضطرب من ذلك من كان في المسجد ، وقالوا : يا أبا إسحاق ما ترى ؟ فخرج إبراهيم من المسجد نحو الدار التي فيها المنكر ، فلما بلغ طرف الزقاق إذا كلب رابض ، فلما قرب منه إبراهيم نبح عليه ، وقام في وجهه .

فرجع إبراهيم إلى المسجد ، وتفكّر ساعة ، ثم قام مُبادراً ، وخرج فمر على الكلب ، فبصبص الكلب له ، فلما قرب من باب الدار خرج إليه شاب حسن الوجه ، وقال : أيها الشيخ لما انزعجت ؟ كنت وجهت ببعض من عندك ، فأبلغ لك كل ما تريد ، وعلى عهد الله وميثاقه لا شربت أبداً ، وكسر جميع ما كان عنده من الشراب وآلته ، وصحب أهل الخير ولزم العبادة .

ورجع إبراهيم إلى مسجده ، فلما جلس سُئل عن خروجه في أول مرة ورجوعه ، ثم خروجه في الثانية ، وما كان من أمر الكلب ، فقال :

نعم إنما نبح عليَّ الكلب ، لفساد كان قد دخل عليَّ في عقد بيني وبين الله ، لم أنتبه له في الوقت ، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته ، فاستغفرت الله عز وجل منه ، ثم خرجت الثانية ، فكان ما رأيتم ، وهكذا كل من خرج لإزالة منكر ، فتحرّك عليه شيء من المخلوقات ، فلفساد عقد بينه وبين الله عز وجل ، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يتحرّك عليه شيء .

[صفة الصفوة (٢/٧٥٧)] .



﴿٢٩﴾ حوت يطعم جيشًا بأكمله

عن جابر قال :

بعثنا رسول الله ﷺ ، وأمَّر علينا أبا عبيدة ، نتلقَّى عيراً لقريش وزوَّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة ، فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنَّا نمصُّها كما يمصُّ الصبي ، ثم نشرب عليها الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ، ثم نبله بالماء ، فنأكله ، قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر ، فرُفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه ، فإذا به دابة تُدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ ، وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم ، فكلوا .

قال : فأقمنا عليه شهراً ، ونحن ثلثمائة حتى سمنَّا ، ولقد كنا نغرف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع من القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في عينيه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه ، فأقامها ، ثم رحل أعظم بعير منها ، فمر تحتها وتزودنا من لحمها ، وشايق .

فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ ، فذكرنا له ذلك فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تُطعمونا ؟ » فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ ، فأكل منه .

[البداية والنهاية (٢/٧٢٧)] .



﴿٣٠﴾ بقرة الناسك والشيطان

زعموا أن ناسكاً أصاب من رجل بقرة حلوباً ، فانطلق بها يقودها إلى منزله ، فعرض له لص أراد سرقتها ، وتبعه شيطان يُريد اختطافه ، فقال الشيطان للص : من أنت ؟ .

قال : أنا اللص، أُريدُ أن أسرق هذه البقرة من الناسك إذا نام، فمن أنت؟ .

قال : أنا الشيطان أُريد اختطافه إذا نام ، وأذهب به ، فانتهيا على هذا إلى المنزل .

فدخل الناسك منزله ، ودخلا خلفه ، وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل، وتعشّى ونام ، فأقبل اللص والشيطان يأتمران فيه ، واختلفا على من يبدأ بشغله أولاً ، فقال الشيطان للص : إن أنت بدأت بأخذ البقرة ، فربما استيقظ وصاح ، واجتمع الناس ، فلا أقدر على أخذه ، فأنظرني ريثما آخذه ، وشأنك وما تريد .

فأشفق اللص إن بدأ الشيطان باختطافه ، فربما استيقظ ، فلا يقدر على أخذ البقرة ، فقال : لا ، بل أنظرني أنت حتى آخذ البقرة ، وشأنك وما تريد .

فلم يزالا في المجادلة حتى نادى اللص : أيها الناسك انتبه ، فهذا الشيطان يُريد اختطافك ، ونادى الشيطان : أيها الناسك انتبه ، فهذا اللص يُريد أن يسرق بقرتك .

فانتبه الناسك وجيرانه بأصواتهما ، وهرب الخبيثان .

[كليلة ودمنة (ص١٩٥)] .



﴿٣١﴾ الشيخ الكبير والحمار

خرج الرشيد إلى الصيد ، فانفرد عن عسكره ، والفضل بن الربيع خلفه ، فإذا هو بشيخ كبير راكباً على حمار ، فنظر إليه ، فإذا هو رطب العينين ، فغمز الفضل عليه .

فقال له الفضل: أين تُريد ؟ .

قال : حائطاً لي .

قال : هل لك أن أدلُّك على شيءٍ تُداوي به عينيك ، فتذهب تلك الرطوبة ؟ .

فقال : ما أحوجني إلى ذلك .

فقال له : خذ عيدان الهواء ، وغبار الماء ، وورق الكمأة ، فضره في قشرة جوزة واكتحل به ، فإنه يُذهب رطوبة عينيك .

فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة ، ثم قال : هذه أجرة لوصفك ، وإن نفعنا الكحل زدناك .

فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن دابته .

[حياة الحيوان للدميرى (٤٢٧/٣)] .



﴿٣٢﴾ شاة تحلب لبناً وعسلاً

عن الشيخ أبي الربيع المالقي قال :

سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى ، فذُكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنًا وعسلاً ، فاشترينا قدحًا جديداً لم يوضع فيه شيء ، فمضينا إليها ، وسلمنا عليها ، ثم قلنا لها : نُريد أن نرى هذه البركةَ التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم .

فأعطتنا الشاة فحلبناها في القدح ، فشربنا لبنًا وعسلاً ، فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة ، فقالت :

نعم ، كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ، ولم يكن لنا شيء ، فحضر العيد ، فقال زوجي ، وكان رجلاً صالحًا : نذبح هذه الشاة في هذا اليوم ، فقلت له : لا تفعل ، فإنه قد رُخّصَ لنا في الترك ، والله تعالى يعلم حاجتنا إليها .

فاتفق أنه استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف ، ولم يكن عندنا قرى ، فقلت له : يا رجل هذا ضيف ، وقد أمرنا الله بإكرامه ، فخذ تلك الشاة ، فاذبحها ، قالت : فخفنا أن تبكي عليها صغارنا ، فقلت له : أخرجها من البيت إلى وراء الجدار ، فاذبحها .

فلما أراق دمها قفزت شاة من الجدار ، فنزلت إلى البيت ، فخشيت أن تكون قد انفلتت منه ، فخرجت لأنظرها فإذا هو يسلخ الشاة ، فقلت له : يا رجل عجبًا ، وذكرت له القصة .

فقال : لعل الله تعالى أن يكون قد أبدلنا خيراً منها ، فكانت تلك تحلب اللبن ، وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف .

[روض الرياحين فى حكايات الصالحين (ص٧٨)] .



﴿٣٣﴾ لبن الفيل

أصابت أنثى فيل مزارعًا كينيًا شابًا بجروح خطيرة عندما حاول حلبها في أثناء تناولها الأعشاب مع صغيرها .

وقالت صحيفة ديلي نيشن : إن المزارع (٢١ عامًا) زحف حتى وصل إلى أنثى الفيل ، ونجح في الحصول على بعض الحليب منها قبل أن تدرك أن صغيرها ليس هو من يرضع ، وأطاحت الأم الغاضبة بالشاب ووعاءه في الهواء، وتعقبته في أثناء تسلقه شجرة قريبة حيث اقتلعت الشجرة من جذورها ولوحت بها في الهواء ، والشاب متشبث بفروعها .

ولم يُنقذ الشاب سوى أصوات بعض النسوة اللاتي شتّت انتباه الأم ، ولم يتضح سبب محاولة الشاب الذي أُصيب بكسور في القفص الصدري والكتف للحصول على لبن أنثى الفيل .

[مجلة الوعي العدد (٢٩٨)] .



(٣٤) شاة بأربعة آلاف شاة

قال المدائني :

خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم حُجَّاجًا ، ففاتتهم أثقالهم ، فجاعوا وعطشوا ، فمروا بعجوز في خباء لها ، فقالوا : هل من شراب ؟ قالت : نعم ، فأنا خواء إليها ، وليس لها إلا شويهة ، فقالت : احتلبوها وامتذقوا لبنَها ، ففعلوا ، وقالوا : هل من طعام ؟ قالت : لا ، إلا هي فليذبحْها أحدكم حتى أصنعَها لكم ، فذبحها أحدهم فشوت وأكلوا ، وقالوا عندها حتى أبردوا .

ثم قالوا : نحن نفر من قريش ، نُريد هذا الوجه ، فإذا انصرفنا سالمين فألمي بنا ، فإنَّا صانعون بك خيراً ، ثم رحلوا وأقبل زوجها ، فقالت : سمعت ؟! ، فقال : لم أسمع .

وخبرته الخبر ، فأحال عليها ضرباً ، فشجَّها ، ثم قال : تذبحين عنزي لأعبْدٍ لا تدرين مَنْ هم ، ثم يقولون : نفر من قريش ؟! .

ثم ضرب الدهر ضرباته ، واضطرته الحاجة إلى أن دخل هو وزوجه المدينة، فمرت العجوز يومًا تسوق حماراً لها عليه البعر تبيعه ، إذ أبصرها الحسن ابن علي ﷺ ، فعرفها ، فأمر من أتاه بها ، فقال : أتعرفينني ؟ .

قالت : لا ، فذكر لها العنزة ، فقالت : بأبي وأمي إنك لأنت هو ؟ قال : نعم ، قال : أفما لقيت صاحبيَّ ؟ قالت : لا ، فأمر من اشترى لها من شاءِ الصدقة ألف شاة ، وأعطاها ألف دينار ، وبعث بها مع رسول إلى الحسين ﷺ

فسأل عما فعل الحسين ؟ فأعطاها مثل ذلك ، ثم بعث بها إلى عبد الله بن جعفر ﷺ ، فسأل عمّا أعطياها ؟ فأضعفه لها ، وقال : لو بدأت بي لأتعبتهما فانصرفت إلى زوجها بأربعة آلاف دينار ، وأربعة آلاف شاة .

[لباب الآداب (ص١٠٦)] .



﴿٣٥﴾ السلحفاة وكلام الناس

زعموا أن غديراً كان عنده عشب ، وكان فيه بطّتان ، وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودّة وصداقة ، فاتفق أن غيض ذلك الماء ، فجاءت البطتان لوداع السلحفاة ، وقالتا : السلام عليك ، فإننا ذاهبتان عن هذا المكان؛ لأجل نقصان الماء عنه .

فقالت : إنما يبين نقصان الماء مثلي ، فإني كأني السفينة لا أقدر على العيش إلا بالماء ، فأما أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما ، فاذهبا بي معكما ، قالتا لها : نعم .

قالت : كيف السبيل إلى حملي ؟ .

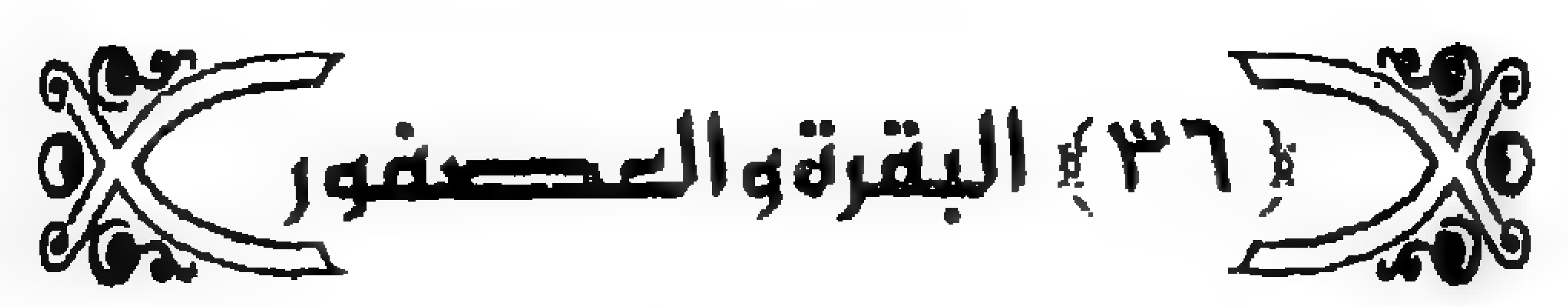
قالتا : نأخذ بطرفي عودٍ وتتعلقين بوسطه ، ونطير بك في الجو ، وإياك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي .

ثم أخذتاها ، فطارتا بها في الجو ، فقال الناس : عجباً سلحفاة بين بطتين قد حملتاها ! .

فلما سمعت ذلك قالت : فقأ الله أعينكم أيها الناس ، فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت .

[كليلة ودمنة (ص١٤١)] .





(٣٦) البقرة والعصفور

عن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - أنه قال :

بلغني أنه كان رجلٌ من بني إسرائيل ذبح عجلاً بين يدي أمّه ، فأيبس الله يده ، فبينما هو ذات يوم جالس ، وإذا بفرخ طائر سقط من وكره ، فجعل ينظر ويبصبص إلى أبويه ، وأبواه ينظران ويبصبصان إليه ، فأخذه ذلك الرجل ورده إلى وكره رحمة له ، فرحمه الله لرحمته لذلك الفرخ ، ورد عليه يده ما صنع .

[حياة الحيوان (٦/١٠١٨)] .



(٣٧) البقة والإمام

عن حامد الأسود قال :

كنت مع إبراهيم الخوّاص في سفر ، فدخلنا إلى بعض الغياض - الغابة - فلما أدركنا الليل إذا بالسباع قد أحاطت بنا ، فجزعت لرؤيتها ، وصعدت إلى شجرة ، ثم نظرت إلى إبراهيم ، وقد استلقى على قفاه ، فأقبلت السباع تلحسه من قرنه إلى قدميه ، وهو لا يتحرك ، ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر وبتنا في مسجد ، فرأيت بقّة وقعت على وجه إبراهيم فلسعته ، فقال : أخ .

فقلت : يا أبا إسحاق ، أي شيء هذا التأوُّه ؟ أين أنت من البارحة ؟! .

فقال : ذاك حال كنت فيه بالله ، وهذا حال أنا فيه بنفسي .

[صفة الصفوة (٧٥٧/٢)] .



(٣٨) دجاجة جحا

دعا جحا بعض أصحابه إلى منزله ، فقدَّم له دجاجةً ، فأكل من المرقة ، وجهد أن يأكل من اللحم ، فلم يقدر لصلابته ، وبات عنده ، وفي ثانى يوم قدم له الدجاجة ، فأكل من المرق ، وجهد أن يأكل من الدجاجة ، فلم يقدر لشدته ، وفي اليوم الثالث قدَّم له الدجاجة ، وجهد أن يأكل من اللحم فلم يقدر .

فأخذ الدجاجة ووضعها إلى جهة القبلة ، وقام ليُصلي عليها ، فقال له الرجل : ما هذا الذي تصنع ؟ .

قال له جحا : أشهد أنَّها لحمُ نبيٍّ أو وليٍّ من أولياء الله تعالى ، فإنها قد أُدخلت النارَ ثلاث دفعات ، فلم تفعل فيها شيئاً .

ولما أراد الانصراف إذا ببعض جيران الرجل يدق الباب ويقول له أعرني ذلك اللحم لضيف جاءني لأطبخه له ، وأورده إليك إن شاء الله تعالى ، فناوله إيَّاها .

[طرائف العرب (ص٣١)] .



﴿٣٩﴾ الحيَّة والسلطان

ذكر هارونٍ المأموني في تاريخه أن عمادَ الدولةِ – صاحب بلاد فارس – اتفقت له أسبابٌ عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه ، منها :

أنه لما ملك شيراز في أول ملكه اجتمع أصحابه ، وطالبوه بالأموال ، ولم يكن معه ما يرضيهم به ، وأشرف أمره على الانحلال ، فاغتمَّ لذلك ، فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس قد خلا فيه للفكرة والتدبُّر إذ رأى حيَّةً قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ، ودخلت موضعًا آخر منه ، فخاف أن تسقط عليه ، فدعا الفراشين وأمرهم بإحضار سُلم ، وأن تُخْرَجَ الحيَّة .

فلما صعدوا وبحثوا عن الحيَّة ، وجدوا ذلك السقف يُفضي إلى غرفة بين سقفين ، فعرَّفوه ذلك ، فأمرهم بفتحها ، ففُتحت فوُجد فيه عدَّة صناديق من المال والمصاغات ، قدر خمسمائة ألف دينار ، فحُمل المال إلى بين يديه ، فسُرَّ به ، وأنفقه في رجاله ، وثبت أمره بعد أن كان قد أشفى على الانخرام .

ثم إنه قطع ثيابًا وسأل عن خيَّاط حاذق ، فوُصف له خياط كان لصاحب البلد قبله ، فأمر بإحضاره ، وكان أطروشًا ، فوقع له أنه قد سُعي به إليه في وديعة كانت عنده لصاحبه ، وأنه طلبه لهذا السبب ، فلما خاطبه حلف أنه ليس عنده إلا اثنا عشر صندوقًا لا يدري ما فيها .

فعجب عماد الدولة من جوابه ، ووجه معه من حملها ، فوجد فيها أموالاً وثيابًا بجملة عظيمة ، فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته ، ثم تمكنت حاله واستقرت قواعده .

[وفيات الأعيان (٣/٣٩٩)] .



(٤٠) الوليمة والثعلب

أولم طائرٌ وليمةً ، فأرسل يدعو بعض إخوانه ، فغلط بعض رسله ، فجاء إلى الثعلب ، فقال : أخوك يدعوك ، فقال : السمع والطاعة ، فلما رجع أخبر الطائر ، فاضطربت الطيور ، وقالوا : أهلكتنا وعرّضتنا للحتف .

فقالت القنبرة : أنا أصرفه عنكم بحيلة ، فمضت ، فقالت : أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك : الوليمة يوم الإثنين ، فأين تحبُّ أن يكون مجلسك مع الكلاب السلوقية ، أو مع الكلاب الكردية .

فتجرّعها الثعلب ، وقال : أبلغي أخي السلام ، وقولي له : أبو سرور يُقرئك السلام ، ولكن قد تقدّم لي نذر منذ دهر بصوم الإثنين والخميس .

[الأذكياء (ص٣١١)] .



(٤١) الذئب الطماع

زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص - صائد - ومعه قوسه ونُشّابه - السهام - فلم يُجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيًا - غزال - فحمله ورجع طالبًا منزله ، فاعترضه خنزير بريٌّ ، فرماه بنشابة نفذت منه ، فأدركه الخنزير ، وضربه بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس ، فوقعا ميتين ، فأتى عليهم ذئب ، فقال : هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ، ولكن أبدأ بهذا الوتر فآكله ، فيكون قوت يومي ، فعالج الوترَ حتى قطعه ، فلما انقطع طارت سية القوسُ فضربت حلقه فمات .

[كليلة ودمنة (ص١٧٢)] .



(٤٢) البئر والدب

هرب رجل من أسد فوقع في بئر ، فوقع الأسد خلفه ، فإذا في البئر دبٌّ ، فقال له الأسد : منذ كم لك هاهنا ؟ .

قال : منذ أيام وقد قتلني الجوع .

فقال له الأسد : أنا وأنت نأكل هذا الإنسان ، وقد شبعنا .

فقال له الدبُّ : فإذا عاودنا الجوع ما نصنع ؟ ، وإنما الرأي أن نحلف له أنّا لا نؤذيه ليحتال في خلاصنا وخلاصه ، فإنّه على الحيلة أقدر منا .

فحلفا له ، فتشبّث حتى وجد نقبًا فوصل إليه ، ثم إلى الفضاء ، فتخلّص وخلصهما .

ومعنى هذا أن العاقل لا يترك الحزم في كل أموره ، ولا يتبع شهوته لاسيما إذا علم أن فيها هلاكه ، بل ينظر في عاقبة أمره ، ويأخذ بالحزم في ذلك .

[حياة الحيوان (٤/٥٧١)] .



(٤٣) النملة والبلبل

النملةُ قـــالت للبلبلْ | الغـــفلةُ بابٌ للندمِ
سخر المغرور ولم يعملْ | عملاً يحميه من الألمِ
الصيف يمرُّ على النملهْ | تسعى وتكدُّ بلا مللِ
لا تعرف طعمًا للغفلهْ | في فصل يُغري بالعملِ
والبلبل لاه يتسلّى | إن طار وإن يومًا حلا
يتغنّى مفتون القلبَ | بالقرب وما بعد القربَ
وتمرُّ الأيامُ سراعا | وتُنادي يا صيفُ وداعا
ويجيئ شتاءٌ ويفوتْ | والبلبلُ لا يجد القوتْ
يتلوّى يصرخ في ذلهْ | ويدقُّ البابَ على النملهْ
يا نملةُ إنّي جوعانُ | والخير بجحْرك ألوانُ
وتردُّ النملة يا هذا | ما عادت تجديك لماذا
من لم يعملْ لغد عملاً | لم يبلغْ في زمنٍ أملا

للشاعر : يس قطب الفيل

[هدية الوعى الإسلامى العدد (٢٧٥) ربيع الآخر ١٤٢٠هـ ص(٢٩)].



﴿٤٤﴾ الناقة والضيف

عن الهيثم بن عدى قال :

خرجتُ من عند أهلي أريد ديار فرائد لي ، ومعي ناقة أركبها ، إذْ ندَّتْ فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيتُ فأدركتها ، ونظرت فإذا خيمة أعرابيٌّ فأتيتها ، فقالت ربَّة الخباء : من أنت ؟ فقلت : ضيف ، فقالت : وما يصنع الضيف عندنا ؟ إن الصحراءَ لواسعة .

ثم قامت إلى برٍّ فطحنته ، ثم عجنته وخبزته ، وقعدت فأكلت ، ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن ، فسلم ثم قال : من الرجل ؟ .

فقلت : ضيف .

فقال : مرحبًا حيَّاك الله ، فدخل الخباء وملأ قعبًا من لبن ، ثم أتاني به وقال : اشرب ، فشربت شرابًا هنيئًا ، فقال : ما أراك أكلت شيئًا ، وما أراها أطعمتك .

فقلت : لا والله .

فدخل إليها مغضبًا وقال : ويلك أكلت وتركت ضيفك ، فقالت : وما أصنع به ؟ أطعمه طعامي ؟ وجاراها في الكلام حتَّى شجها ، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي ، فنحرها ، فقلت : ما صنعت عافاك الله ؟ .

فقال : لا والله ما يبيت ضيفي جائعًا .

ثم جمع حطبًا وأجَّج نارًا ، وأقبل يكبِّبُ ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول : كلي لا أطعمك الله ، حتى إذا أصبح تركني ومضى ، فقعدتُ مغمومًا، فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه ، فقال :

هذا مكان ناقتك ، ثم زوّدني من ذلك اللحم ومما حضره ، وخرجت من عنده ، فضمّني الليل إلى خباء ، فسلمت ، فردت صاحبة الخباء السلام ، وقالت : من الرجل ؟ فقلت : ضيف .

فقالت : مرحبًا بك ، حيّاك الله وعافاك ، فنزلت ، ثم عمدت إلى بُر فطحنته وعجنته ، ثم خبزته خبزة روّتها بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدي فقالت: كل واعذر .

فلم ألبث أن أقبل أعرابيٌ كريه الوجه ، فسلم فرددت عليه السلام ، فقال: من الرجل ؟ قلت : ضيف .

قال : وما يصنع الضيف عندنا ، ثم دخل إلى أهله فقال : أين طعامي ؟ .

فقالت : أطعمته الضيف .

فقال : أتطعمين الضيف طعامي .

فتجاريا الكلام ، فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجّها ، فجعلت أضحك، فخرج إليّ فقال : ما يضحكك ؟ .

قلت : خير .

فقال : والله لتخبرني .

فأخبرته بقضية المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله ، فأقبل عليٍّ وقال: إن هذه التي عندي هي أخت الرجل ، وتلك التي عنده أختي ، فبت ليلتي متعجبًا وانصرفت .

[وفيات الأعيان (١٠٨/٦)] .



﴿٤٥﴾ الكلب والعبد السخي

حُكي أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما وهو مشهور بالسخاء مرَّ على بستان ، فرأى فيه عبداً من العبيد يعمل فيه ، ويجمع التمر ، فجاءه ابن سيِّده برغيفين ليأكل ، فجلس العبد ليأكل ، فرأى كلباً قد أقبل نحوه ، يهمهم ويحرِّكُ ذيلَه ، فألقى إليه برغيف ، فالتهمه سريعًا ، واقترب منه يحرِّك ذنبه ، فرمى إليه بالرغيف الثاني ، وقام لعمله .

فعجب عبد الله بن جعفر من فعل هذا العبد ، واقترب منه وسأله : يا غلام كم قوتك كلَّ يوم ؟ .

قال العبد : هو ما رأيت .

قال عبد الله : ولِم آثرت بهما هذا الكلب ؟ .

قال العبد : إنَّ أرضنا ليست بأرض كلاب ، وعلمت أنَّ هذا الكلب ما ساقه إلينا إلا الجوع ، فآثرته على نفسي .

قال عبد الله : وكيف تصنع بنفسك هذا اليوم ؟ .

قال العبد : أطوي هذه الليلة ، أي : أبيت على الجوع

قال عبد الله : يلومني الناس على السخاء ، وهذا الغلام أسخى مني .

فذهب عبد الله بن جعفر إلى سيِّد الغلام ، وطلب منه أن يبيعه غلامه هذا.

قال سيد الغلام : ولِم تُريد شراءه ؟ .

فأخبره بما رأى منه ، وأنه يُريد شراءه وعتقه ، وشراء البستان وإهداءه إليه .

فقال له السيد : أنت تريد أن تفعل به ذلك ، بهذه الخصلة الواحدة ، ونحن لا نزال نرى منه العجائب كل يوم ! .

أُشهدك أنّه حرٌّ لوجه الله تعالى ، وأنَ البستانَ هبةٌ منّي إليه .

[أنيس الصالحين (ص٢٨)] .



(٤٦) العجلة والغلام الصالح

روي أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح وله طفل له عجلة ، فأتى بها إلى غيضة ، وقال : اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ، ومات الرجل، فصارت العجلة في الغيضة عواناً ، وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن ، وكان باراً بأمه ، كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث : يصلي ثلثًا وينام ثلثًا ، ويجلس عند رأس أمه ثلثًا ، وكان إذا أصبح انطلق ، فاحتطب على ظهره وأتى به السوق ، فيبيعه بما شاء الله ، ثم يتصدق بثلثه ، ويأكل بثلثه ، ويعطي أمه ثلثاً .

فقالت أمه له يومًا : إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا وكذا فانطلق وادع له أن يردها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيّل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المُذهبة لحسنها وصفرتها .

فأتى الفتى الغيضة ، فرآها ترعى ، فصاح بها ، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه ، فقبض على عنقها وأقبل يقودها ، فتكلّمت العجلة بإذن الله تعالى ، وقالت : أيها البار بوالدته ، اركبني ، فإن ذلك أهون عليك ؟ .

فقال الفتى : إن أمّي لم تأمرني بذلك ، ولكن قالت خذ بعنقها .

فقالت : وإله بني إسرائيل ، لو ركبتني لما قدرت عليّ أبداً ، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرّك بأمك .

فسار الفتى بها إلى أمه ، فقالت له : إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل ، فانطلق فبع هذه البقرة .

قال : بكم أبيعها ؟ .

قالت : بثلاثة دنانير ، ولا تبع بغير مشورتي .

وكان ثمن البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير ، فانطلق بها إلى السوق ، فبعث الله إليه ملكًا ليرى خلقه قدرته ، وليختبر الفتى ، كيف بره بوالدته ، وكان الله عليمًا خبيرًا .

فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة ؟.

قال : بثلاثة دنانير ، وأشترط رضا والدتي .

فقال له الملك : فإني أعطيك ستة دنانير ، ولا تستأمر والدتك .

فقال الفتى : لو أعطيتني وزنها ذهبًا لن آخذه إلا برضا والدتي .

ثم إن الفتى رجع إلى أمه وأخبرها بالثمن ، فقالت له : ارجع وبعها بستة دنانير على رضا مني .

فانطلق بها إلى السوق ، فأتاه الملك ، فقال له : أستأمرت أمك ؟ .

فقال له الفتى : إنها أمرتني ألا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها .

فقال له الملك : فإني أعطيك اثنى عشر دينارًا على ألا تستأمرها .

فأبى الفتى ورجع إلى أمه ، فأخبرها بذلك ، فقالت له : إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك ، فإذا أتاك ، فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه أم لا نفعل ؟ .

فقال له الملك : اذهب إلى أمك ، وقل لها أمسكي هذه البقرة ، فإن موسى يشتريها منك لقتيل من بني إسرائيل ، فلا تبيعيها إلا بملأ مسكها[1] ذهبًا – أي جلدها دنانير – ، فأمسكوها ، وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بأمه .

[حياة الحيوان (٦/٨٥٢)] .

---

(١) المَسْكُ : الجلد .

(٤٧) الهدهد والكنز

قال أحد الحكماء :

إني كنت أخدم – وأنا غلام – رجلاً من أشراف الناس ، فلما بدا لي رفضُ الدنيا ، فارقت ذلك الرجل ، وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين ، فأردت أن أتصدَّق بأحدهما وأستبقي الآخر ، فأتيت السوق ، فوجدت مع رجلٍ من الصيادين زوج هدهد ، فساومته فيهما ، فأبى الصياد أن يبيعهما إلا بدينارين .

فاجتهدت أن يبيعنيهما بدينار واحد ، فأبى ، فقلت في نفسي : أشتري أحدهما وأترك الآخر ، ثم فكرت وقلت : لعلَّهما يكونان زوجين ذكراً وأنثى ، فأُفرق بينهما ، فأدركتني لهما رحمة .

فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين ، وأشفقت – إن أرسلتهما في أرض عامرة – أن يُصادا ولا يستطيعا أن يطيرا ، مما لقيا من الجوع والهزال ، ولم آمن عليهما الآفات ، فانطلقت بهما إلى مكان كثير المرعى والأشجار ، بعيد عن الناس والعمران ، فأرسلتهما فطارا ووقعا على شجرةٍ مثمرة.

فلما صارا في أعلاها شكرا لي ، وسمعت أحدهما يقول للآخر : لقد خلَّصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه ، واستنقذنا ونَجَّانا من الهلكة ، وإنَّا لخليقان أن نكافئه بفعله ، وإن في أصل هذه الشجرة جرَّة مملوءة دنانير ، أفلا ندله عليها فيأخذها .

فقلت لهما : كيف تدلاني على كنز لم تره العيون ، وأنتما لم

تُبصرا الشبكة ؟! .

فقالا له : إن القضاء إذا نزل صرف العيون عن موضع الشيء ، وغشي البصر ، وإنما صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز ، فاحتفرت واستخرجتُ البرنية – إناء من الخزف – وهي مملوءة دنانير ، فدعوت لهما بالعافية .

[كليلة ودمنة (ص٢٥٦)] .



(٤٨) تضحية كلب

قدم رجل على بعض السلاطين ، وكان معه عامل أرمينية منصرفًا إلى منزله ، فمر في طريقه بمقبرة ، وإذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها : هذا قبر كلب ، فمن أحب أن يعلم خبره ، فليمض إلى قرية كذا وكذا ، فإن فيها من يخبره .

فسأل الرجل عن القرية ، فدلوه عليها ، فقصدها وسأل أهلها ، فدلوه على شيخ قد جاوز المائة ، فسأله ، فقال : كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن ، وكان مُشتهراً بالنزهة والصيد والسفر ، وكان له كلب قد رباه لا يُفارقه ، فخرج يوماً إلى بعض متنزهاته ، وقال لبعض غلمانه : قل للطباخ يُصلح لنا ثردة لبن ، فقد اشتهيتها .

فأصلحوها ومضى إلى متنزهه ، فوجَّه الطباخ ، فجاء بلبن وصنع له ثردةً عظيمة ، ونسي أن يُغطيها بشيء واشتغل بطبخ أشياء أخرى ، فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى ، فكرع في ذلك اللبن ، ومجَّ في الثردة من سمه ، والكلب رابض يرى ذلك كله ، ولو كان له في الأفعى حيلة لدفعها ، وكان هناك جارية طفلة خرساء زَمِنَةٌ ، وقد رأت ما صنعت الأفعى .

ووافى الملك من الصيد في آخر النهار ، فقال : يا غلمان ، أول ما تقدِّمون إليَّ الثردة ، فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء إليه ، فلم يفهم ما تقول ، ونبح الكلب وصاح ، فلم يلتفت إليه ، ولجَّ في الصياح ، فلم يعلم مراده ، فأخذ ورمى إليه بما كان يرمي إليه في كل يوم ، فلم يقربه ولجَّ في الصياح .

فقال للغلمان : نحوه عنّا ، فإن له قصةً ومدَّ يده إلى اللبن ، فلما رآه الكلب يُريد أن يأكل طفر إلى وسط المائدة ، وأدخل فمه الغضارة ، وكرع من اللبن ، فسقط ميّتًا وتناثر لحمه ، وبقي الملك مُتعجّبًا منه ومن فعله ، فأومأت الخرساء إليهم ، ففهموا مرادها بما صنع الكلب .

فقال الملك لندمائه وحاشيته : إن من فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة ، وما يحمله ويدفنه غيري ، فدفنه وبنى عليه قُبَّةً ، وكتب عليه ما قرأت .

[الأذكياء (ص٢٩٦)] .

﴿٤٩﴾ الغزالة الصادقة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

مرّ رسول الله ﷺ على قوم قد اصطادوا ظبيةً ، فشدُّوها على عمود فسطاط [١] ، فقالت : يا رسول الله ، إني أُخذتُ ولي خشفان [٢] ، فاستأذن لي أن أرضعهما وأعود إليهم .

فقال : أين صاحب هذه ؟ .

فقال القوم : نحن يا رسول الله .

قال : خلُّوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما ، وترجع إليكم

فقالوا : ومن لنا بذلك يا رسول الله ؟ .

قال : أنا .

فأطلقوها فذهبت ، فأرضعت ، ثم رجعت إليهم فأوثقوها ، فمرَّ بهم رسول الله ﷺ ، فقال : أين صاحب هذه ؟ .

فقالوا : هو ذا يا رسول الله .

فقال ﷺ : تبيعونها ؟ .

فقالوا : هي لك يا رسول الله .

فقال : خلّوا عنها .

فأطلقوها فذهبت .

[البداية والنهاية (٣/٦٤١)] .

---

[١] الفسطاط : الخيمة .

[٢] الخشف : ولد الظبي .

(٥٠) المرأة والأسد

شجاعة زوجٍ مسلمة تُنقذ زوجها من أنياب أسد !! .

حدث هذا في تنزانيا ، وتناقلته وكالاتُ الأنباءِ ، فقد كان محمد مسهامو، البالغ من العمر ٣٦ عاماً ، يغتسل بالقرب من منزله فغافله أسد جائع وغرز أنيابه في مؤخرته .

فأسرعت زوجه بمهاجمة الأسد ومصارعته حتى تمكّنت من سحب زوجها إلى داخل المنزل بعد أن أُصيب بجروح خطيرة نُقل على أثرها إلى المستشفى ، ولكنه تجاوز حالته الخطر .

[منار الإسلام ربيع الأول ١٤١٨ هـ (ص١٢٦)] .



(٥١) امرأة تتزوج كلباً

نحن نعيش عالم العجائب والغرائب ، والمتناقضات في عصر اضمحلت فيه القيم ، وغاب العقل ، وبلغ الضلال أحط مراحله حتى أصبحت القيم النبيلة ضرباً من ضروب التخلف والرجعيَّة .

لقد نشرت بعض الصحف نبأ زواج أمريكيَّة من كلبها بعد أن صدمت وتأزمت من فشلها في ثلاث زيجات من البشر .

وقد لا تكون الغرابة في زواج امرأة من كلب فما أكثر المتزوجات من الكلاب في دول غابت فيها الفضيلة ، إنما الغرابة كل الغرابة في أن يقوم قسيسٌ بمراسم عقد هذا الزواج ، فأيُّ دين وأيُّ رجل دين هذا الذي يؤيِّد ويُبارك مثل هذا الانحطاط في أخلاقيات البشر .

اللهم احفظ علينا ما بقي من عقلٍ ووعي ودين ، في عالم يسير سريعًا إلى أسفل هاوية .

[منار الإسلام غرة محرم ١٤١٧هـ (ص١٢٩)] .



(٥٢) حيلة الثعلب وذكاؤه

من عجيب أمره أن ذئبًا أكل أولاده، وكان للذئب أولاد، وهناك زبية، فعمد الثعلب وألقى نفسه فيها، وحفر فيها سردابًا يخرج منه، ثم عمد إلى أولاد الذئب، فقتلهم، وجلس ناحية ينتظر الذئب، فلما أقبل وعرف أنها فعلته، هرب قُدَّامَهُ، وهو يتبعه، فألقى نفسه في الزبية، ثم خرج من السرداب، فألقى الذئب بنفسه وراءه فلم يجده ولم يطق الخروج، فقتله أهل الناحية.

ومن عجيب أمره أن رجلاً كان معه دجاجتان، فاختفى له، وخطف إحداهما، وفر ثم أعمل فكره في أخذ الأخرى، فتراءى لصاحبها من بعيد وفي فمه شيء شبيه بالطائر، وأطمعه في استعادتها بأن تركه وفر، فظن الرجل أنها الدجاجة، فأسرع نحوه وخالفه الثعلب إلى أختها وذهب.

ومن عجيب أمره أنه أتى إلى جزيرة فيها طير، فأعمل الحيلة، كيف يأخذ منها شيئًا، فلم يطق، فذهب وجاء بضغث[1] من حشيش، وألقاه في مجرى الماء الذي نحو الطير، ففزع منه، فلما عرفت أنه حشيش رجعت إلى أماكنها، فعاد لذلك مرة ثانية وثالثة ورابعة، حتى تواظب الطير على ذلك، وألفته، فعمد إلى جرزة أكبر من ذلك، فدخل فيها وعبر إلى الطير، فلم يشك الطير أنه من جنس ما قبله، فلم تنفر منه، فوثب على طائر منها، وعدا به.

[شفاء العليل (ص١٧٨)].



---

(١) ضغث: حزمة.

٥٣ الفيل والعصفور الصغير

كان للفيل مشربٌ يتردَّد إليه ، فمر ذات يوم على عادته ، ليرد مورده ، فوطئ عُشَّ القبرة - نوع من العصافير - ، وهشَّم بيضها ، وقتل فراخها ، فلما نظرت ما ساءها ، علمت أن الذي نالها من الفيل لا من غيره ، فطارت ، فوقعت على رأسه باكية ، ثم قالت : أيها الملك لم هشمت بيضي ، وقتلت فراخي وأنا في جوارك ؟ أفعلت هذا استصغاراً منك لأمري ، واحتقاراً لشأني ؟ .

قال : هو الذي حملني على ذلك .

فتركته وانصرفت إلى جماعة الطير ، فشكت إليها ما نالها من الفيل ، فقلن لها : وما عسى أن نبلغ منه ، ونحن طيور ؟ .

فقالت للغربان : أُحبُّ منكنَّ أن تصرن معي إليه فتفقأن عينيه ، فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى .

فأجبنها إلى ذلك ، وذهبت إلى الفيل ، ولم يزلن ينقرن عينيه حتى ذهبن بهما ، وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه ، إلا ما يقُمُّهُ [1] من موضعه ، فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثيرة ، فشكت إليها ما نالها من الفيل .

قالت الضفادع : ما حيلتنا نحن في عظم الفيل ؟ وأين نبلغ منه ؟ .

---

(١) يقُمُّهُ : يجمعه . والقمامة : المخلّفات .

قالت : أُحب منكن أن تصرن معي إلى وهدة – المنخفض من الأرض – قريبة منه فتنقنقن فيها ، فإنه إذا سمع أصواتكنّ لم يشك في الماء ، فيهوي فيها .

فأجبنها إلى ذلك ، واجتمعن في الهاوية ، فسمع الفيل نقيق الضفادع ، وقد أجهده العطش ، فأقبل حتى وقع في الوهدة ، فارتطم فيه ، وجاءت القبرة ترفرف على رأسه ، وقالت : أيها الطاغي المغتر بقوته ، المحتقر لأمري ، كيف رأيت عِظَمَ حيلتي مع صغر جثتي عند عِظَمِ جثتك ، وصِغَرِ همَّتك ؟ .

[كليلة ودمنة (ص٥٦)] .



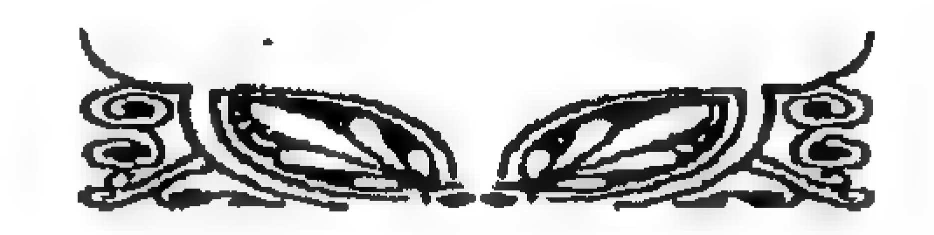
٥٤ الكلب يعاقب الخائنين

كان للحرث بن صعصعة نُدماءُ لا يُفارقهم ، فعبث أحدهم بزوجه ، وأرسلها ، وكان للحرث كلب قد ربّاه ، فخرج الحرث في بعض متنزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل ، وجاء إلى زوجه ، فأقام عندها ، فلما جامعها وثب الكلب عليهما ، فقتلهما ، فلما رجع الحرث نظر إليهما ، فعرف القصة ، وترك من كان يُعاشره ، واتخذ كلبه نديماً ، فتحدَّث به العرب ، فأنشأ يقول :

فلَلْكَلْبُ خيرٌ من صديق يخونني ... وينكحُ عِرسي بعد وقت رحيلي

سأجعلُ كلبي ما حييتُ مُنادِمي ... وأمنحُه ودّي وصَفْوَ خليلي

[الأذكياء (ص٢٩٨)] .



(٥٥) أكلها الذئب

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه خرج في بعض نواحي المدينة ومعه أصحابٌ له ، فوضعوا له السُّفْرَةَ ، فمر بهم راعي غنم فسلَّم ، فقال له ابن عمر : هلم يا راعي فكل معنا .

فقال : إني صائم .

فقال له ابن عمر رضي الله عنهما : أتصوم في هذا اليوم الشديد الحر ، وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم ؟! .

فقال له : إني والله أُبادر أيامي هذه الخالية .

فقال له ابن عمر ، يُريد أن يختبر ورعه : هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك هذه ، فنعطيك ثمنها ونُطعمك من لحمها ، فتُفطر عليه ؟ .

فقال : إنها ليست لي ، إنها غنم سيدي .

فقال له ابن عمر : وما عسى سيدك فاعلاً إذا فقدها، وقلت أكلها الذئب.

فولَّى الراعي عنه وهو يقول : فأين الله ، يرفع بها صوته ، ويُشير بأصبعه إلى السماء ! .

فجعل ابن عمر يُردد قول الرعي ذلك ؛ فلما قدم المدينة اشترى العبدَ الراعيَ والغنمَ ، وأعتق العبدَ ووهب له الأغنام .

[حياة الحيوان (٦/٩٨٤)] .



﴿٥٦﴾ الثعبان واللص

توفّي زوجها وترك لها سبعة أولاد ، فترك أكبرهم دراسته ، لكي يُعيل والدته وإخوته وعمل في حانوت أبيه ... وبعد ثلاث سنوات استُدعى الولد الكبير إلى الخدمة الإلزاميّة ، فبرزت عند ذلك مشكلة أخرى وهي : من يُنفق على هذه العائلة ، هل يُضحّي الابن الثاني بالدراسة كما ضحّى أخوه ...؟ .

كان هناك حلٌّ واحدٌ فقط لإعفاء الأخ الأكبر من الخدمة الإلزامية ، وهو دفع البدل النقدي ، واجتمعت العائلة ، واستقر رأيهم على رهن البيت الذي يسكنون فيه ، وبالفعل رُهن البيت بأربع مائة دينار .

وبعد إجراء عملية الرهن ، انطلقت الأم العجوز إلى محطة تجمُّع سيارات الأجرة ؛ لكي تُسافر إلى المدينة التي تبعد عنهم بأكثر من مائتين وأربعين كيلو متراً لدفع البدل النقدي عن ولدها ، قبل انقضاء مدته بيوم واحد ، وعند المحطة لم يكن هناك مُسافرون كثيرون ، وانتظرت الأم قُرابة الساعة ، فلم يأت أحد ، وأشرفت الشمس على الغروب ، فكان لابد لها أن تستأجر سيارةً خاصة ؛ لتوصيلها قبل أن ينتهي موعد سداد البدل .

واستأجرت السيارة ثم انطلقت بها بعد أن قبض السائق أجرته كاملة ، وكان الطريق بين المدينتين يمر بين جبال ووديان ، وبعد ابتعاد السيّارة عن المناطق المأهولة ، واقترابها من المناطق الخالية تحدّث سائق السيّارة مع العجوز .. ولعله سألها عن سر استعجالها في ذلك الوقت ، فقصّت عليه قصّة بيع البيت ، وقصّة دفع البدل النقدي عن ولدها ، فلعب الشيطان بعقل الرجل .

وبعد قليل أوقف السيّارة على الجانب الأيمن بقرب وادٍ سحيق .. ونزل وفتح الباب على المرأة وسحبها من السيارة سحبًا ، ولم تستطع المسكينة أن تُقاوم، وأخرج المجرم سكينًا وأوسعها طعنًا ، ثم أخذ ما معها من مال ، وسقطت المرأة مُضرَّجَةً بدمائها ، وهي تئن وتنزف الدّماء غزيرةً ، وليس بقربها مخلوق في هذا المكان الموحش المنقطع .

وركب الرجل سيارته ووصل إلى المدينة ، وعاد مُحمَّلاً بالرُّكاب ، وعندما اقترب من مسرح الجريمة ، أوقف السيارة وادَّعى أنه سيقضي حاجته ، ولم يكن الرُّكَّاب يعلمون ما اقترفت يداه .. لقد أراد المجرم أن يتأكد من موت العجوز ؛ لأنه تركها وهي تئن وتعالج السكرات .. ونظر الرجل إلى ضحيّته ، فوجدها ما زالت تئن وهي على قيد الحياة لم تمت بعد ، وإذا بالظالم ينحني ويأخذ حجراً عظيمًا ويرفعه إلى أعلى صائحًا : أيتها الملعونة ألا زلت على قيد الحياة حتى الآن ..

وجمدت المرأة ، وكأنها تنظر إلى أجلها ، وفي تلك اللحظة انطلقت من السائق صرخة مدوّية هزّت الوادي ، فقد كان تحت هذه الصخرة ثعبان عظيم ، لدغ المجرم ، قبل أن يُجهز على هذه المسكينة ، ونزل الركّاب من السيارة على هذه الصرخة المدوّية .. فإذا بهم يُشاهدون السائق جثة هامدة ، وامرأة تئن وتتمتم بكلام غير مفهوم .

وحُمل السائق والمرأة ، وجاءت الشرطة ، وحُملت المرأة إلى المستشفى ، وبين تأوهاتها طلبت ولدها ، ثم راحت في غيبوبة طويلة .. فظن الممرضون أنها تعاني من سكرات الموت .. وفي اليوم التالي أفاقت المرأة من غيبوبتها ..

وحقّقت الشرطةُ في الأمر وأخذوا الأموال من المجرم وأعادوها للمرأة ، ثم

قالت لولدها في شبه غيبوبة : ادفع البدل سريعاً .. وأغمضت عينيها وذهبت في غيبوبة أخرى .. ولكنها لم تمت ويوماً بعد يوم تحسنت حالتها الصحية والمادية وفرّج الله عنها .

وها هو راوي القصة اللواء الركن محمود شيت خطّاب ، يذهب إلى دارها الجديدة العامرة ويسألها من وراء حجاب .. ما الذي كنت تقولينه وأنت ملقاة في الوادي ؟ .

فترد العجوز المؤمنة كنت أقول : « يا جبار السموات والأرض أنت أعلم بحالي ، فهيئ لي بقدرتك القادرة أسباب دفع البدل النقدي عن ولدي ليعود إلى أهله ويعولهم يا رب » .

يا لها من مناجاة .. يا لها من تضحية .. لم تُفكّر في الدم الذي يسيل منها ، ولم تُفكر أنها ربما ترحل عن الدنيا بعد ثوانٍ معدودة ، ولكنها فكّرت في كيفية إعالة أولادها ..

وبعد المناجاة جاء الفرج من رب الأرض والسموات ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل : ٦٢] إنه الله جل جلاله .

[عدالة السماء نقلاً عن أنيس الصالحين (ص٧٠)] .



(٥٧) الطائر وأصحاب السفينة

رُوِيَ أن امرأةً دخلت على داود عليه السلام ، فقالت : يا نبيَّ الله ، ربك ظالم أم عادل ؟! .

فقال داودُ عليه السلام : ويْحَك يا امرأة ، هو العدلُ الذي لا يجور ، ثم قال لها : ما قصتك ؟

قالت : أنا أرملة عندي ثلاث بنات ، أقوم عليهن من غزل يدي ، فلما أمس شددت غزلي في خرقة حمراء ، وأردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه ، وأُبلغ به أطفالي ، فإذا أنا بطائر قد انقض عليَّ وأخذ الخرقة والغزل وذهب ، وبقيت حزينة لا أملك شيئاً أبلغ به أطفالي .

فبينما المرأة مع داود عليه السلام في الكلام ، وإذا بالباب يُطرق على داود ، فأذن بالدخول ، وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده مائة دينار .

فقالوا : يا نبي الله أعطها لمستحقها .

فقال لهم داود عليه السلام : ما كان سبب حملكم هذا المال ؟ .

قالوا : يا نبيَّ الله ، كنَّا في مركب فهاجت علينا الريح وأشرفنا على الغرق ، فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل ، فسددنا به عيب المركب ، فهانت علينا الريح ، وانسدَّ العيب ونذرنا لله أن يتصدَّق كلُّ واحدٍ منَّا بمائة دينار ، وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت .

فالتفت داود عليه السلام إلى المرأة ، وقال لها : ربٌّ يتَّجَرُ لكِ في البرِّ والبحر ، وتجعلينه ظالمًا ، وأعطاها الألف دينار ، وقال : أنفقيها على أطفالك .

[أنيس الصالحين (ص٣٢)] .

(٥٨) الدابة والغلام

كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إليَّ غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يُعلمه ، فكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه ، فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال : إذا خشيت الساحر ، فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلَكَ فقل : حبسني الساحر .

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس .

فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستُبتلى ، فإن ابتليت فلا تدلَّ عليَّ ، وكان الغلام يُبرئ الأكمهَ [1] والأبرص ، ويُداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني .

فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله ، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله .

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من ردَّ عليك

---

(١) الأكْمَهُ : مَنْ ولِدَ أعمى .

بصرك ؟ .

قال : ربي .

قال : ولك ربٌّ غيري ؟! .

قال : ربي وربُّك الله .

فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دلَّ على الغلام فجيئ بالغلام ، فقال له الملك : أي بني ، أقد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟!.

قال : أنا لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله ، فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دلَّ على الراهب .

فجيئ بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى فدعا بالمنشار ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيئ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيئ بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه .

فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل ، فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله .

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1] ، فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت السفينة ، فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك:

---

[1] قرقور : سفينة .

ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله .

وقال للملك : إنك لست بقاتلي حتّى تفعل ما آمرك به .

قال : وما هو ؟ .

قال : تجمع الناس في صعيدٍ واحد ، وتصلبني على جذعٍ ، ثم تأخذ سهمًا من كنانتي ، ثم تضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني .

فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم في صدغه ، فوضع يده على صدغه ، في موضع السهم ، فمات .

فقال الناس : آمنّا برب الغلام ، آمنّا برب الغلام ، آمنّا برب برب الغلام .

فأُتي الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس .

فأمر بالأخدود في أفواه السكك ، فخدت ، وأُضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه ، فأحموه فيها - أو قيل له اقتحم - ففعلوا ، حتى جاءت امرأة معها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمّة اصبري ، فإنك على الحق [1] .

[الجامع لأحكام القرآن (٢٧٥/١٩)] .



(١) أشار القرآن الكريم إلى أصحاب الأخدود في سورة « البروج » .

(٥٩) كلب يثأر لصاحبه

قال أبو عثمان المدائني:

كان في جوارنا ببغداد رجلٌ يلعب بالكلاب ، فأسحر يومًا في حاجة ومعه كلب كان يختصُّ به من كلابه ، فردَّه ، فلم يرجع ، فمشي حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة ، فصادفوه فقبضوا عليه ، والكلب يراهم ، فخرج الكلب ، وقد لحقته جراحة ، فجاء إلى بيت صاحبه يعوي .

وافتقدت أم الرجل ابنها ، فأثبتت أن الجراح التي بالكلب من فعل قتل ابنها ، وأنه قد قتل ، فأقامت عليه المأتم ، فطردت الكلاب عن بابها ، فلزم ذلك الكلب طلب القاتل ، فاجتاز القاتلُ وهو رابضٌ ، فعرفه فنهشه وعَلِقَ به ، فاجتهد المجتازون في تخليصه منه ، فلم يمكنهم ، وارتفعت ضجَّةٌ ، وجاء حارس الدرب ، فقال : إنه لم يعلَقْ هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قضيةٌ ، ولعله الذي جرحه ، وخرجت أم القتيل ، فرأت الكلب مُتعلقًا بالرجل ، وسمعت كلام الحارس ، فذكرت بأن هذا الرجل ممن كان يُعادي ابنها ، فوقع في نفسها أنه قاتله ، فتعلقت وادعت عليه القتل ، وارتفعا إلى صاحب الشرطة فحبسه بعد أن ضُرب ولم يقر ، ولزم الكلب باب الحبس .

فلما كان بعد أيام أُطلق الرجل ، فلما خرج عَلِقَ به الكلب ، ففُرِّقَ بينهما وما زال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته ، فدخل خلفه ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم ، فكبس الدار ، فأقبل الكلب ينبش بمخالبه موضع القتيل ، فوجد الرجل ، فضرب المتهم ، فأقر على نفسه وعلى الباقين ، فقتلوا وصلبوا .

[الأذكياء (ص٢٩٦)] .

﴿٦٠﴾ هب لي كلباً

روي أن أبا دُلامة دخل على المهدي ، فأنشده قصيدةً ، فقال له : سلني حاجتَك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي كلباً ! .

فغضب المهدي وقال : أقول لك سلني حاجتك فتقول: هب لي كلباً ؟!.

فقال : يا أمير المؤمنين ، آلحاجة لي أم لك ؟ .

قال : بل لك .

قال : فإني سائلك أن تهبَ لي كلبَ صيدٍ .

فأمر له بكلب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هبني خرجت إلى الصيد ، أفأعدو على رجلي ؟! .

فأمر له بدابَّة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فمن يقوم عليها ؟ .

فأمر به بغلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هبني صدتُ صيداً فأتيت به المنزل ، فمن يطبخه لي ؟ .

فأمر له بجارية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء أين يبيتون ؟ فأمر له بدار.

فقال : يا أمير المؤمنين ، قد صار في عنقي جماعة من العيال ، فمن أين لي ما يقوت هؤلاء ؟ .

قال : فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً .

فقال : أما العامر فقد عرفته ، فما الغامر ؟

قال : الخراب الذي لا شيء فيه .

فقال : أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب غامرة بالبدو ، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً .

فقال : من أين ؟ .

قال : من بيت المال .

فقال المهدي : حولوا المال وأعطوه جريباً .

فقال : يا أمير المؤمنين إذا حولوا منه المال صار غامراً .

فضحك المهدي منه وأرضاه .

[حياة الحيوان للدميرى (٢/٢٣٦)] .



﴿٦١﴾ الغراب والحسناء

زعموا أن غراباً كان له وكرٌ في شجرة على جبل ، وكان قريبًا منه جُحْرُ ثعبان ، فكان الغراب إذا فرخ عمد الثعبان إلى فراخه فأكلها ، فبلغ ذلك الغراب وأحزنه ، فشكا ذلك إلى الثعلب ، وقال له : أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه :

قال : وما هو ؟ .

قال الغراب : قد عزمت أن أذهب إلى الثعبان إذا نام ، فأنقر عينيه ، فأفقأهما ؛ لعلِّي أستريحُ منه .

قال الثعلب : بئس الحيلة التي احتلت ، فالتمس أمرًا تُصيب فيه بُغيتك من الثعبان من غير أن تُغَرِّرَ بنفسك وتُخاطر بها ، لكنني أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الثعبان من غير أن تُهْلِكَ به نفسك ، وتكون فيه سلامتك .

قال الغراب : وما ذاك ؟ .

قال الثعلب : انطلق ، فتُبصر في طيرانك لعلك تظفر بشيء من حُلَّى النساء ، فتخطفه ، ولا تزال طائرًا واقعًا بحيث لا تفوت العيون حتى تأتي جحر الثعبان ، فترمي بالحُلي عنده ، فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حُليّهم وأراحوك من الثعبان .

فانطلق الغراب مُحلقًا في السماء ، فوجد امرأةً من بنات العظماء فوق سطح تغتسل ، وقد وضعت ثيابها وحُليها ناحيةً ، فانقض واختطف من حُليها

عقداً ، وطار به ، فتبعه الناس ، ولم يزل طائراً بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الثعبان ، فألقى العقد عليه ، والناس ينظرون ، فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الثعبان .

[كليلة ودمنة (ص١٢٦)] .



(٦٢) الحوت والغلام

عن بعض الصالحين قال :

بينما أنا أطوف بالكعبة ، إذا بجارية على كتفها طفل صغير ، وهي تُنادي: يا كريم عهدك القديم .

فقلت لها : ما هذا العهد الذي بينك وبينه ؟ .

قالت : ركبت في سفينة ومعنا قوم من التجار ، فعصفت بنا ريح ، فغرقت السفينة وجميع من فيها ، ولم ينج أحد منهم غيري وهذا الطفل في حجري على لوح ، ورجل أسود على لوح آخر ، فلما أضاء الصبح نظر الأسود إليّ وجعل يدفع الماء بيده حتى لصق بي ، واستوى معنا على اللوح ، وجعل يُراودني عن نفسي ، فقلت : يا عبد الله ، أما تخاف الله تعالى ، نحن في بليّة لا نرجو الخلاص منها بطاعته ، فكيف بمعصيته ؟ .

فقال : دعي عنّي هذا ، فوالله لابد لي من هذا الأمر .

قالت : وكان هذا الطفل نائمًا في حجري ، فقرصتُه قرصة ، فاستيقظ وبكى ، فقلت له : يا عبد الله دعني أُنوّم هذا ويكون من الأمر ما قدره الله علينا، فمدّ الأسود يده إلى الطفل ورمى به في البحر ، فرمقت السماء بطرفي ، وقلت : يا من يحول بين المرء وقلبه حُلْ بيني وبين هذا الأسود بحولك وقوتك إنك على كل شيء قدير .

فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابّةٌ من دوابِّ البحر ، ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به في البحر وعصمني الله منه بحوله وقوته ، وهو

القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى .

قالت : وما زالت الأمواج تدفعني حتى رمتني إلى جزيرة من جزائر البحر ، فقلت في نفسي : آكلُ من بقْلِها وأشرب من مائها حتى يأتي الله بأمره ، فلا فرج لي إلا منه ، فمكثت أربعة أيام ، فلما كان في اليوم الخامس لاحت لي سفينةٌ في البحر على بعد ، فعلوت على تل وأشرت إليهم بثوب كان عليَّ ، فخرج إليَّ منهم ثلاثة نفر في زورق ، فركبت معهم .

فلما دخلتُ السفينة الكبرى إذا بالطفل الذي رمى به الأسود في البحر عند رجل منهم ، فلم أتمالك نفسي أن ارتميت عليه ، وقبلت بين عينيه ، وقلت : هذا والله ولدي وقطعة من كبدي ، فقال لي أهل السفينة : مجنونة أم اختل عقلك ؟ .

فقلت : والله ، ما أنا بمجنونة ولا اختلَّ عقلي ، ولكن جرى من الأمر ما هو كذا وكذا ، وذكرت لهم القصة إلى آخره .

فلما سمعوا مني ذلك أطرقوا رؤوسهم ، وقالوا : يا جارية قد أخبرتينا بأمر تعجبنا منه ، ونحن أيضاً نُخبرك بأمر تتعجبين منه ، بينما نحن نجري بريحٍ طيِّبة إذا بدابَّة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا ، وهذا الطفل على ظهرها ، وإذا منادٍ ينادي إن لم تأخذوا هذا الطفل من ظهرها وإلا هلكتم ، فصعد واحد منَّا على ظهرها وأخذ الطفل ، فلما دخل به إلى السفينة غاصت الدابة في البحر ، وقد تعجبنا من هذا ومما أخبرتنا به ، وقد عاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم .

قالت : فتابوا عن آخرهم .

فسبحان الله اللطيف الخبير ، جميل العوائد سبحان مُدرك الملهوف عند الشدائد .

يا مُـدركًا بسـريعِ اللطفِ والفـرجِ — عند الشـدائد للملهـوف ذي الحـرجِ
كلمحة الطرف بل أدنى تغيثُ ولو — في قعر بحر وجوف الحوت في اللُجَجِ

[أنيس الصالحين (١٤٨/٢)] .



(٦٣) لسعة عقرب

بينما كنت أبحث عن دابَّتي التي ضلَّتْ منّي ساقني ذلك إلى ضفاف دجلة التي كانت تبعد عن قريتنا مسافة أمتار معدودة ، ومن عادة هذه القرية أنها تنام خارج منازلها في فصل الصيف هربًا من الحر ، هذا يفرش على الأرض ، وذاك على السرير ، وآخر على صرَّةٍ من القش وهكذا .

وقدكانت أمسية ذلك اليوم من الأمسيات المقمرة الجميلة التي يتصدَّر فيها البدر كبد السماء مُرسلاً أشعته الفضيَّة على أرجاءِ المعمورة ، وقد بدت القريةُ مكشوفة أمام الأنظار تأخذ الألباب بمناظرها الخلابة ، وجوُّها الساحر ، وهوائها العليل ، وإن هي إلا لحظات وتطلعت حولي ، وإذا بدُوَيبَّةٍ صغيرة عائمة على صفحة النهر قادمة باتجاهي ، لفتت نظري هذه المخلوقة .

وأغراني الفضول وحبُّ الاستطلاع أن أعلم شيئًا عن أمرها ، وما زالتْ بحركتها الوئيدة حتى دنت من الضفة ، فإذا هي ضفدعة ، وعلى متنها عقرب قد تشبَّثتْ بها ، وما إن وصلت إلى اليابسة حتى نزلت عنها العقرب ، وانطلقت بكل سرعتها نحو قريتنا ، وكأنَّ مهمةً قد أوكلت إليها وعليها قضاؤها في أوانها .

وجريت بدوري خلفها مقتفيًا أثرها حتى دخلت في حرم القرية ، ولم أشأ قتلها بل تركتها للقدر الذي ولاها هذه الوجهة ، ولكنني تبعتها أنظر ماذا تصنع ، واتجهتْ نحو الحصيرة التي فرش عليها حسين ذلك الشاب الصالح ، وقد استسلم لسباتٍ عميق ، ثم إنها توغلت في الصبرة ، ولم أعد أعرف عنها

شيئًا ، ولكني تريثت لأستجلي الخبر ، فما هي إلا برهة من الزمن ، حتى شاهدت اضطرابًا في فراش حسين ، فقلت في نفسي : لابد وأن العقرب قد لسعته ، ثم رأيتها تخرج من بين ثنايا الصبرة ، وهي أشد مضاء آتية من حيث جاءت ، وما إن وصلت إلى الضفة حتى كانت مركبتها الضفدعة جاهزة ؛ لتنقلها إلى مكانها المعهود .

ثم عدت لأرى ما جرى لصاحبي حسين ، فرفعت الغطاء عنه ، وإذا بي أرى العجب العجاب ، أن حيّةً عظيمةً قد وقعت صريعة إلى جانبه ، وبوسائلي أبعدت الحيَّة عنه ، فإذا هي لا تُبدي حراكًا ، فعلمت عندئذ أنها هالكة ، وما أهلكتها إلا العقرب ، فقد كان خط الدماء السائلة من رأسها يُشير إلى مكان اللسعة ، وصاحبي حسين لم يُصب بسوء ترعاه ملائكة الرحمن .

وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد : ١١] .

[مجلة حضارة الإسلام ، العدد ٢ ربيع الثانى ١٣٨٨ هـ] .



(٦٤) سمكة تنقذ رجلا

قال عليُّ بنُ حرب :

أردت أن أُسافر من بلدي الموصل إلى بلد - سُرَّ مَنْ رأى - لشراء بعض البضاعة ، وكانت هناك سفن تسير في نهر دجلة من الموصل إلى سُرَّ مَنْ رأى تنقل الركاب والبضاعة بالأجر ، فركبت إحدى هذه السفن ، وسرنا في نهر دجلة متجهين نحو سُرَّ مَنْ رأى .

وكان في السفينة بعض البضاعة ، ونفرٌ من الرجال لا يتجاوز الخمسةَ ، وكان النهار صحواً ، والجوُّ جميلاً ، والنهر هادئًا ، والربان يحدو ويُغني غناء جميلاً ، والسفينة تسير على صفحة الماء سيراً هادئًا ، حتى أخذت أكثرنا غَفْوَةٌ من النوم ، أما أنا فكنت أُمتع نظري بمناظر الشطآن الجميلة على جانبي النهر ، وفجأة رأيت سمكة كبيرة تقفز من النهر داخل السفينة ، فهجمت عليها ، وأمسكت بها قبل أن تعود إلى النهر مرَّة أخرى .

وانتبه الرجال من غفوتهم بسبب الضجة التي حصلت ، وعندما رأوا السمكة ، قال أحدهم : هذه السمكة أرسلها الله تعالى إلينا ، لماذا لا ننزل بها إلى الشاطئ ، فنشويها ونأكلها ، وهي كبيرة تكفينا جميعًا ، فأعجبنا رأيه ، ووافق الربان على ذلك ، فمال بنا إلى الشاطئ ونزلنا ، واتجهنا إلى دغلٍ [١] من الشجر لنجمعَ الحطبَ ونشوي السمكة .

وما أن دخلنا الدغل فوجئنا بمنظرٍ اقشعرت منه جلودنا ، فوجئنا برجل

---

(١) الدغل : الشجر الكثير .

مذبوح وإلى جانبه سكين حادة على الأرض ، وبرجلٍ آخرَ مكتوفٍ بحبل قوي وحول فمه منديل يمنعه من الكلام والصراخ ، فاندهشنا من هذا المنظر ، فمن قتل القتيل ما دام الرجل مكتوفاً ؟! .

أسرعنا أولاً فحللنا رباط الرجل ورفعنا المنديل عن فمه ، وكان في أقصى درجات الخوف واليأس ، وعندما تكلم قال : أرجوكم أن تعطوني قليلاً من الماء أشربه أولاً ، فسقيناه .

وبعد أن هدأ قليلاً ، قال : كنت أنا وهذا الرجل القتيل في القافلة التي تسير من الموصل إلى بغداد ، والظاهر أن هذا القتيل لاحظ أن معي مالاً كثيراً ، فصار يتودَّدُ إليَّ ، ويقترب مني ، ولا يُفارقني إلا قليلاً ، حتى نزلت القافلة في هذا المكان لنستريح قليلاً ، وفي آخر الليل استأنفت القافلةُ السير ، وكنت نائماً فلم أشعر بها ، وبعد أن سارت القافلة ، استغل هذا الرجل نومي ، وربطني بالحبل كما رأيتم ، ووضع حول فمي منديلاً ؛ لكي لا أصرخ وسلب مالي الذي كان معي ، ثم رماني إلى الأرض ، وجلس فوقي يريد أن يذبحني ، وهو يقول : إن تركتك حياً فإنك ستلاحقني وتفضحني ؛ لذلك لابُدَّ من ذبحك .

وكان معه سكين حادة يضعها في وسطه ، وهي هذه السكين التي ترونها على الأرض ، وأراد سحب السكين من وسطه ليذبحني بها ، لكنها علقت بحزامه ، فصار يُعالجها ثم نترها بقوة ، وكان حدّها إلى أعلى ، فخرجت بقوة، واصطدمت بعنقه وقطعت الجلد واللحم والشريان ، فتدفق الدم منه ، وخارت قواه ، ثم سقط ميتًا ، وحتى بعد موته كنت موقنًا بالموت ؛ لأن هذا المكان منقطع لا يأتيه أحد إلا قليلاً ، فمن يفكني ومن ينقذني ؟

وصرت أدعو الله سبحانه وتعالى أن يُرسل من يُنقذني مما أنا فيه ، فأنا

مظلوم ، ودعاء المظلوم لا يردُّ ، وإذا بكم تأتون وتنقذونني مما أنا فيه ، فما الذي جاء بكم في هذه الساعة إلى هذا المكان المنقطع ؟ .

فقالوا له : الذي جاء بنا هو هذه السمكة ، وحكوا له كيف قفزت من الماء إلى السفينة ، فأتوا بها إلى هذا المكان ؛ لكي يشووها ويأكلوها .

فتعجَّب من ذلك ، وقال : إن الله سبحانه وتعالى قد أرسل هذه السمكة إليكم ؛ لكي يجعلكم تأتون إلى هذا المكان ، وتُخلصوني مما أنا فيه ، والآن إنني تَعِبٌ جداً ، أرجوكم أن تأخذوني إلى أقرب بلدة .

فصرفوا النظر عن شيِّ السمكة وأكلها ، وأخذوا الرجل بعدما حمل معه المال الذي سلبه الرجل الآخر منه وعادوا به إلى السفينة ، وما إن وصلوا السفينة، حتى قفزت السمكة إلى الماء ، وعادت إلى النهر مرَّةً أخرى ، فكأنما قد أرسلها الله سبحانه وتعالى حقاً ؛ لكي تكون سبباً في إنقاذ الرجل المظلوم .

وكذا إذا أراد الله شيئاً هيَّأ أسبابه .

[طبقات الأولياء (ص١٨٠)] .



(٦٥) الحمار الأعور

لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسّم ماله بين بنيه ، وهم أربعة : مضر وربيعة وإياد وأنمار ، وقال : يا بنيّ ، هذه القبة - وهي من أدم [١] حمراء - وما أشبهها من المال ، لمضر ، وهذا الخباء[٢] الأسود وما أشبهه من المال لربيعة، وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد ، وهذه البدرة [٣] والمجلس لأنمار يجلس فيه .

ثم قال لهم : إن أشكل عليكم الأمر في ذلك واختلفتم في القسمة ، فعليكم بالأفعى بن الأفعى الجرهمي .

وأنه لما مات نزار توجّهوا إلى الأفعى - وكان ملك نجران - فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأً قد رُعِيَ ، فقال : إن البعير الذي رعى هذا أعور .

فقال ربيعة : وهو أزور [٤] .

وقال إياد : وهو أبتر .

وقال أنمار : وهو شرود .

فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لَقِيَهُمْ رجلٌ فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ .

قال : نعم .

---

(١) الأدم : الجلد .
(٢) الخباء : الخيمة .
(٣) البدرة : كيس مملوء بالمال .
(٤) الأزور : من يمشي على شق .

قال : إياد : أهو أبتر [١] ؟ .

قال : نعم .

قال أنمار : أهو شرود [٢] ؟ .

قال : نعم ، هذه صفة بعيري ، دلوني عليه .

فحلفوا له أنهم ما رأوه ، فلزمهم وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ؟! ، ثم سار معهم حتى قدموا نجران ونزلوا بالأفعى الجرهمي ، فنادى الشيخ صاحب البعير : هؤلاء أصابوا بعيري ، فإنهم وصفوا لي صفته ، ثم قالوا : لم نره ، أيها الملك .

فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ .

فقال مضر : رأيته رعى جانباً وترك جانباً ، فعلمت أنه أعور .

وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر ، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لإزواره .

وقال إياد: رأيت بعره مجتمعاً ، فعلمت أنه أبتر ، ولو كان ذيالاً لمصع به [٣].

وقال أنمار : رأيته رعى الملتف نبته ، ثم جاوزه إلى مكان آخر أرق منه ، فعلمت أنه شرود .

فقال الأفعى : أيها الشيخ ، ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم من هم فأخبروه ، فرحب بهم ، ثم قال : أتحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى ؟! ، فدعا لهم بطعام وشراب ، فأكلوا وشربوا .

---

(١) الأبتر : مقطوع الذنب .
(٢) الشرود : النافر .
(٣) مصع به : أي نثره هنا وهناك بتحريك ذيله .

فقال مضر : لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على مقبرة .

وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحماً أجود لولا أنه ربي بلبن كلبة .

وقال إياد : لم أر كاليوم رجلاً أسرى منه ، لولا أنه ليس بابن أبيه الذي يدعى إليه .

وقال أنمار : لم أر كاليوم خبزاً أجود لولا أن التي عجنته حائض .

وكان الأفعى قد وكل بهم من يستمع كلامهم ، فأعلمه بما سمع منهم، فطلب صاحب شرابه ، وقال له : الخمرة التي جئت بها ما قصتها ؟ .

قال : هي من كرمة غرستها على قبر أبيك ، لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها .

وقال للراعي : آللحم ما أمره ؟ .

قال : من لحم شاة أرضعناها بلبن كلبة ، ولم يكن في الغنم أسمن منها.

فدخل داره وسأل الأمة التي عجنت العجين فأخبرته أنها حائض ، ثم أتى أمه وسأل منها عن أبيه ، فأخبرته ، أنها كانت تحت ملك لا يولد له ، فكرهت أن يذهب الملك ، فأمكنت رجلاً نزل بهم من نفسها ، فوطئها فأتت به ، فعجب من أمرهم ، ودسّ عليهم من سألهم عما قالوا .

فقال مضر : إنما علمت أنها من كرمة غُرست على قبر ؛ لأن الخمر إذا شربت أزالت الهم ، وهذه بخلاف ذلك ؛ لأنا لما شربناها دخل علينا الغم .

وقال ربيعة : إنما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت من لبن كلبة ؛ لأن لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فوق اللحم ، إلا الكلاب فإنها عكس ذلك ، فرأيته موافقًا له فعلمت أنه لحم شاة رضعت من كلبة ، فاكتسب اللحم منها

هذه الخاصية .

وقال إياد : إنما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذي يدعى إليه ؛ لأنه صنع لنا طعامًا ، ولم يأكل معنا ، فعرفت ذلك من طباعه ؛ لأن أباه لم يكن كذلك .

وقال أنمار : إنما علمت أن الخبز عجنته حائض ؛ لأن الخبز إذا فت انتفش في الطعام ، وهو بخلاف ذلك ، فعلمت أنه عجين حائض

فأخبر الرجل الأفعى بذلك فقال : ما هؤلاء إلا شياطين ! ، ثم أتاهم فقال لهم : قصوا قصتكم .

فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم ، وما كان من اختلافهم .

فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فصارت له الدنانير ، والإبل – وهي حمر – فسميت مضر الحمراء ، ثم قال : وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة . فصارت له الخيل – وهي دهم – فسميت ربيعة الفرس ، ثم قال : وما أشبه الخادم – وكانت شمطاء [1] – من مال فهو لإياد . فصارت له الماشية البلق من الخيل وغيرها ، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض ، فساروا من عنده على ذلك .

[حياة الحيوان للدميرى (٦٧/١)] .



---

(1) شمطاء : برأسها شيب يُخالط السواد .

(٦٦) فأرة تفك أسر صاحبتها

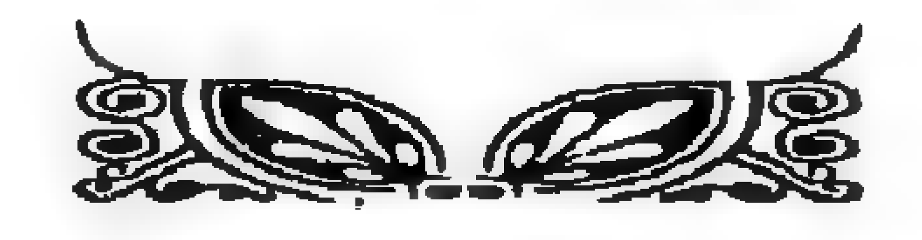
قال ابن الحضنة عن مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو ، وكان رجلاً صالحًا يسكن نهر طابق :

أنه كان ليلة من الليالي قاعداً ينسخ ، قال : وكنت ضيق اليد ، فخرجت فأرةٌ كبيرة ، فجعلت تعدو في البيت ، ثم خرجت أُخرى ، وجعلا يلعبان بين يدي طاسة فكفيتها في إحداهما .

فجاءت الأخرى ، فجعلت تدور حول الطاسة ، وأنا ساكت ، فدخلت السرب ، فخرجت وفي فيها دينار صحيح وتركته بين يدي ، فاشتغلتُ بالنسخ، وقعدتْ ساعةً تنتظر ، ثم رجعت فجاءت بدينار آخر ، وقعدتُ ساعة ، إلى أن جاءت بأربعة أو خمسة ، وقعدتُ زمانًا أطول من كل نوبة .

ورجعت ، فأخرجت جلدة كانت فيها الدنانير ، وتركتها فوق الدنانير ، فعرفت أنه ما بقي شيء ، فرفعتُ الطاسة ، ففرتا ؛ فدخلتا البيت وأخذت أنا الدنانير .

[الأذكياء (ص٣٠٠)] .



﴿٦٧﴾ البعوضة والفيل

كان الوجيه أبو بكر المبارك بن سعيد بن الرهان ، النحوي ، لا يغضب قط ، فتراهن جماعةٌ مع واحد إن أغضبه كان له كذا وكذا ، فجاء إليه فسأل عن مسألة في العربيّة ، فأجابه فيها بالجواب .

فقال له السائل : أخطأت أيها الشيخ .

فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى .

فقال : كذبت وما أراك إلا وقد نسيت النحو .

فقال الوجيه : أيها الرجل ، لعلك لم تفهم ما أقول لك ؟ .

فقال : بلى ، ولكنك تُخطئ في الجواب .

فقال له : فقل أنت ما عندك ؛ لنستفيد منك .

فأغلظ له السائل في القول ، فتبسم ضاحكاً وقال له : إن كنت راهنت فقد غُلِبْتَ ، وإنما مثلُك مثل البعوضة سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادت أن تطير ، قالت له : استمسك فإني أحبُّ أن أطيرَ ، فقال لها الفيل : ما أحسستُ بك حين سقطت ، فما أحتاج أن أستمسك إذا طرت .

[البداية والنهاية (١٣/٨٤)] .



(٦٨) الأسد وذكاء الأرنب

زعموا أن أسداً كان في أرضٍ كثيرة المياه والعُشب ، وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير ، إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد ، فاجتمعت وأتت إلى الأسد ، فقالت له : إنك لتصيب منَّا الدابَّة بعد الجهد والتعب ، وقد رأينا لك رأيًا فيه صلاحٌ لك وأمنٌ لنا ، فإن أنت أمَّنتنا ولم تُخفنا ، فلك علينا في كل يوم دابَّة نُرسل بها إليك في وقت غدائك .

فرضي الأسد بذلك ، وصالح الوحوش عليه ، ووفين له به ، ثم إن أرنبًا أصابتها القرعة ، وصارت غداء الأسد ، فقالت للوحوش : إن أنْتُنَّ رفقتن بي فيما لا يضركن رجوت أن أريحكن من الأسد .

فقالت الوحوش : وما الذي تكلفيننا من الأمور ؟ .

قالت : تأْمُرْنَ الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلني ريثما أبطئ عليه بعض الإبطاء .

فقلن لها : ذلك لك .

فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغدَّى فيه الأسد، ثم تقدمت إليه وحدها رويدا ، وقد جاع ، فغضب وقام من مكانه نحوها ، فقال لها : من أين أقبلت ؟ .

قالت : أنا رسول الوحوش إليك ، بعثنني ومعي أرنب لك ، فتبعني أسد في بعض تلك الطريق ، فأخذها مني ، وقال : أنا أولى بهذه الأرض وما فيها

من الوحوش ، فقلت : إن هذا غداء الملك أرسلني به الوحوش إليه ، فلا تغضبه فسبك وشتمك ، فأقبلت مسرعة لأخبرك .

فقال الأسد : انطلقي معي ، فأريني موضع هذا الأسد

فانطلقت الأرنب إلى جُبٍّ - بئر - فيه ماء غامرٌ صافٍ ، فأطلق فيه وقالت : هذا المكان ، فاطّلع الأسدُ ، فرأى ظلّه وظلّ الأرنب في الماء ، فلم يشك في قولها ، ووثب إليه ليقاتله ، فغرق في الجُبّ ، فانقلبت الأرنب إلى الوحوش ، فأعلمتْهُنَّ صنيعها بالأسد .

[كليلة ودمنة (ص١٢٦)] .



(٦٩) ديك الخليفة

بينما كان أمير المؤمنين هارون الرشيد في مجلسه ، وعن يمينه ويساره الوزراء والعظماء من أهل مملكته وأصحاب الرأي عنده ، دخل عليه حاجبه معلناً قدوم أبي نواس .

فقال الخليفة : دعه ينتظر قليلاً ، ثم نظر إلى جلسائه وقال هذه فرصة سانحة نضحك فيها على أبي نواس ، ويجب أن أستحضر لكل منكم بيضة تخبئونها في طيّات ثيابكم ، حتى إذا دخل أبو نواس يتكلم كل واحد منكم كلمة أغضب عليكم عند سماعها ، وأقول يا لكم من ضعاف مثل الفراخ ، تالله إذا لم تصنعوا مثل الدجاجة ، ويبيض كل منكم بيضة لأُقَطِّعَنّ رقابكم .

فقالوا : سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين .

وعندئذ طلب الخليفةُ الحاجبَ ، وقال له : اذهب فاستحضر ست بيضات ولا تدع أحد يراك ، خصوصاً أبا نواس .

فخرج الحاجب وعاد مُنفِّذاً أمر الخليفة وأعطى لكلٍّ من الجالسين بيضة خبأها بين طيات ثيابه وجلسوا ينتظرون ، ودخل أبو نواس ، فسلّم على أمير المؤمنين بسلام الخلافة ، وأظهر الرشيد انتباهه إلى حديث جلسائه ، ونطق أحدهم بكلمة غضب منها الرشيد غضباً شديداً .

فصاح بهم : ويحكم أيها الجبناء ، إنكم مثل الدجاج ، ولا أجد فرقًا بينكم وبينها ، والله إن لم يبض كلٌّ منكم بيضة لأُقَطِّعَنّ رقابكم .

فأظهروا الاضطراب والخوف وأخذوا يفعلون كما تفعل الفرخة ، وبعد

قليل مدَّ الأول منهم يده إلى استه فأخرج بيضته ، وقال : ها هي بيضتي يا أمير المؤمنين وأعقبه الثاني والثالث والرابع إلى السادس .

وكان الخليفة يقول لكل مَنْ يقدم بيضته : قد نجوت ، ولما جاء الدور إلى أبي نواس وقف على قدميه ومشى حتى توسَّط الجميعَ وصار أمام الخليفة وجهًا لوجه ، ثم صار يقول : كاك ، كاك ، كاك ، كما يفعل الديك بين أزواجه الفراخ ، ثم ضرب ابطيه على بعضهما وصاح بأعلى صوته ، كما يفعل الديك تمامًا ، وقال : كوكو .. كو .

فقال له الخليفة : ما هذا يا أبا نواس ؟! .

فقال : عجبًا يا أمير المؤمنين ، هل رأيت فراخًا تبيض من غير ديك ؟! ، هؤلاء فراخك ، وأنا ديكُها .

فضحك الخليفة حتى كاد يسقط عن كرسيه ، وقال له : يا لك من خبيث ماكر تالله لو لم تكن فعلت ذلك لعاقبتك ، ثم أمر له بهدية ومال ، وهو مُعجب بذكائه وسرعة خاطره ونباهته .

[ديوان أبى نواس (ص٣٨)] .



(٧٠) كلب الروم

لما نقضت الروم الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين ، وكان الذي عقده هارون الرشيد مع ريني ملكة الروم عادت الروم على ريني فخلعتها ، وملَّكتْ عليها نقفور .

فذُكر أن نقفور لما ملك واستوسقت له الروم بالطاعة، كتب إلى الرشيد : من نقفور ملك الروم ، إلى هارون ملك العرب أما بعد :

فإن الملكة التي كانت قبلي ، أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ، ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها ، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي ، فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، وافتد نفسك ، بما يقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك .

فلما قرأ الرشيد الكتاب ، استفزّه الغضبُ حتى لم يكن أحداً ينظر إليه دون أن يُخاطبه ، وتفرق جلساؤه خوفاً من زيادة قول أو فعل يكون منهم ، واستعجم الرأي على الوزير من أن يُشير عليه أو يتركه يستبد برأيه دونه ، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك ، والجواب ما تراه دون أن تسمعه ، والسلام .

ثم شخص من يومه ، وسار حتى أناخ بباب هرقلة ، ففتح وغنم ، فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه في كل سنة ، فأجابه إلى ذلك .

[تاريخ الطبرى (٤/٦٦٨)] .

﴿٧١﴾ الغزالة والرغيف

صحب رجلٌ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقال : أكونُ معك يا نبيَّ الله وأصحبُك .

فانطلقا حتى أتيا إلى شط نهر ، فجلسا يتغدّيان ومعهما ثلاثة أرغفة ، فأكلا رغيفين ، وبقي رغيف ، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر ، فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف ، فقال للرجل : من أخذ الرغيف ؟.

فقال : لا أدري .

قال : فانطلق ومعه صاحبه ، فرأى ظبية ومعها خشفان لها ، فدعا أحدهما فأتاه ، فذبحه وشوى من لحمه وأكل هو والرجل ، ثم قال للخشف : قم بإذن الله ، فقام وذهب ، فقال للرجل : أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ .

فقال : لا أدري .

فسارا حتى انتهيا إلى نهر ، فأخذ عيسى بيد الرجل ومشيا على الماء ، فلما جازا ، قال عيسى : أسألك بالذي أراك هذه الآية ، من أخذ الرغيف ؟ .

قال : لا أدري .

فسارا حتى انتهيا إلى مفازة ، فغلّسا [١] ، فأخذ عيسى ترابًا ورملاً ، وقال : كن ذهبًا بإذن الله ، فكان ذهبًا ، فقسّمه عيسى عليه السلام ثلاثة أثلاث ، ثم قال :

---

(١) غلّسا : أقاما بالغلس ، أي ظلمة الليل .

ثلث لي ، وثلث لك ، وثلث للذي أخذ الرغيف .

فقال الرجل : أنا أخذته .

قال عيسى : كله لك .

ثم فارقه عيسى وذهب ، ومكث هو عند المال في المفازة ، فانتهى إليه رجلان ، فأرادا أن يأخذاه منه ، ويقتلاه ، فقال : هو بيننا أثلاث .

ثم قال: فابعث أحدكما إلى القرية ليشتري لنا طعامًا ، فقال الذي بعث: لأي شيء أُقاسمهما المال ؟ لأجعلنَّ لهما في الطعام سمًا فأقتلهما ، ففعل، وقال صاحباه في غيبته : لأي شيء نقاسمه المال ؟ إذا جاء قتلناه ، واقتسمنا المال نصفين ، فلما جاء قاما إليه ، فقتلاه ،ثم أكلا الطعام فماتا ، وبقي المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلى حوله .

فمر عيسى عليه الصلاة والسلام بهم وهم على تلك الحالة ، فقال لأصحابه : هكذا الدنيا تفعل بأهلها ، فاحذروها .

[حياة الحيوان للدميرى (٥٠٩/٣)] .



(٧٢) علاج الأسد

مرض الأسد ، فعاده السباع ، ما خلا الثعلب ، فقال الذئبُ : أيها الملك، مرضت ، فعادك السباعُ ، إلا الثعلبَ ، قال : فإذا حضر ، فأَعْلِمْني .

فبلغ ذلك الثعلب ، فجاء فقال له الأسد : يا أبا الحصن مرضت ، فعادني السباع كلهم ، ولم تعُدني أنت .

قال : بلغني مرض الملك ، فكنت في طلب الدواء له .

قال : فأي شيء أصبت .

قال : قالوا لي خوزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج .

فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب ، فانسل الثعلب وخرج ، فقعد على الطريق ، فمر به الذئب والدم يسيل عليه ، فقال له الثعلب : يا صاحب الخف الأحمر ، إذا قعدت بعد هذا عند السلطان ، فانظر ما يخرج من رأسك .

[الأذكياء (ص٣٠٧)] .



﴿٧٣﴾ أبو قردان والثعلب المكار

زعموا أن حمامةً كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء ، فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة ، فلا يمكن أن تنقل ما تنقل ، وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة ، لطول النخلة ، فإذا فرغت من النقل باضت ، ثم حضنت بيضها ، فإذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر ما ينهض فراخها .

فبينما ذات يوم قد أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك الحزين - أبو قردان - فوقع على النخلة ، فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهمّ قال لها : يا حمامة ما لي أراك كاسفة اللون سيئة الحالة ؟ .

فقالت له : إن ثعلبًا دُهيت به ، كلما كان لي فرخان ، جاءني يهددني ويصيح في أصل النخلة ، فأفرق [1] منه فأطرح إليه فرخي .

قال لها : إذا أتاك ليفعل ذلك ، فقولي له : لا ألقى إليك فرخي ، فارق[2] إليّ ، وغرر بنفسك ، فإذا فعلت وأكلت فرخي طرت عنك ونجوت بنفسي .

فلما علّمها مالك الحزين هذه الحيلة طار ، فوقع على شاطئ نهر ، فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف ، فوقف تحتها ، ثم صاح كما كان يفعل ، فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين .

---

(١) أي أخاف ، الفَرَقُ : الخوف .

(٢) أي فاصعد .

فقال لها الثعلب : أخبريني ، من علمك هذا ؟ .

قالت : علمني مالك الحزين .

فتوجه الثعلب حتى أتى مالكًا الحزين على شاطئ النهر فوجده ، فقال له الثعلب : يا مالك الحزين ، إذا أتتك الريح عن يمينك ، فأين تجعل رأسك ؟ .

قال : عن شمالي .

قال : فإن أتتك عن شمالك ، فأين تجعل رأسك ؟ .

قال : أجعله عن يميني أو خلفي .

قال : فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله ؟ .

قال : أجعله تحت جناحي .

قال : وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ؟ ما أراه يتهيأ لك .

قال : بلى .

قال : فأرني كيف تصنع ؟ فلعمري - يا معشر الطير - لقد فضلكن الله علينا ، إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة ، وتبلغن ما لا نبلغ، وتدخلن رؤسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح ، فهنيئًا لكنَّ ، فأرني ؟ .

فأدخل الطائر رأسه تحت جناحه ، فوثب عليه الثعلب مكانه ، فأخذه فدقَّ عنقه ، ثم قال : يا عدو نفسه ، ترى الرأي للحمامة ، وتُعلِّمها الحيلة لنفسها ، وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكّنَ منك عدوك . ثم أجهز عليه وأكله .

[كليلة ودمنة (ص٢٥٩)] .



(٧٤) الديك والمرأة

كان لإبراهيم بن مزيد ديكٌ ، وكان كريماً عليه ، فجاء العيد وليس عنده شيء يُضحِّي عليه ، فأمر امرأته بذبحه ، واتخاذ طعام منه ، وخرج إلى المصلَّى ، فأرادت المرأة أن تُمسكه ، ففر ، فتبعته ، فصار يخترق من سطح إلى سطح ، وهي تتبعه .

فسألها جيرانها وهم هاشميُّون عن موجب ذبحه ، فذكرت لهم حال زوجها ، فقالوا : ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبي إسحاق إلى هذا القدر .

فأرسل إليه هذا شاة ، وهذا شاتين ، وهذا بقرة ، وهذا كبشاً حتى امتلأت الدار ، فلما جاء ورأى ذلك قال : ما هذا ؟ . فقصت عليه زوجُه القصة .

فقال : إن هذا الديك لكريم على الله ، فإن إسماعيل نبي الله فُدي بكبش واحد ، وهذا فُدي بما أرى .

[المستظرف (ص٣٨٣)] .



﴿٧٥﴾ على السرير عقرب

قال الفضيل الهاشمى :

كنت مع ابنة عمي نائماً على سرير إذ ظهرت إليَّ بعض جواريَّ ، فنزلت فقضيت حاجتي ، ثم انصرفت .

فبينما أنا راجع إذ لدغتني عقرب ، فصبرت حتى عدت إلى موضعي من السرير ، فغلبني الوجع ، فصحت ، فقالت لي ابنة عمي : ما لك ؟ .قلت لها : لدغتني عقرب ، قالت : وعلى السرير عقرب ؟ قلت : نزلت لأبول فأصابتني .

ففطنت ، فلما أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن أن لا يقتلن عقرباً في دارها إلى سنة ، ثم قالت :

إذا عُصِيَ الله في دارِنَا فإنَّ عقاربَنا تغضبُ

ودار إذا نام حرَّاسُهَا أقام الحدودَ بها العقربُ

[أخبار النساء (ص٩٤)] .



(٧٦) الكلب وتارك الصلاة

كتب شريح إلى معلم ولده يُخبره أن ابنه قد ترك الصلاة ، من أجل لعبه مع بعض الغلمان بكلاب لهم ، وكتب إليه كي يوبخ ويُأنب ابنه فقال :

تركَ الصلاةَ لأكلُبٍ يسعى بها ... يبغي الهِراشَ مع الغواة الرُّجَّسِ
فليأتينَّك غدوةً بصحيفةٍ ... كُتبت له كصحيفة المتلمّسِ
فإذا أتاك فعظه بملامةٍ ... أو عظْهُ موعظةَ الأديبِ الكيّسِ
فإذا هممتَ بضربه فبدرةٍ ... وإذا بلغت ثلاثة لك فاحْبسِ
واعلم بأنَّك ما أتيت فنفسُهُ ... مع ما يُجرِّعُني أعزُّ الأنْفُسِ

[البداية والنهاية (٩/٢٨)] .



(٧٧) هدهد سليمان

رُوي عن ابنْ عباس ﷺ أن سليمـانَ بن داودَ عليهـمـا السلام لما فقـد الهدهدَ دعا بالعُقـابِ سيِّد الطير وأحزمه وأشده بأسًا ، فقـال : عليَّ بالهدهد الساعة .

فرفع العُقابُ نفسه نحو السماء حتى التصق بالهواء ، فصار ينظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي الرجل ، ثم التفت يميناً وشمالاً ، فرأى الهدهد مُقبلاً من نحو اليمن ، فانقضَّ عليه .

فقال الهدهد : أسألك بحق الذي أقدرك عليَّ إلا ما رحمتني .

فتركه ثم قال له : الويل لك ، إن نبي الله سليمان حلف أن يُعَذِّبَكَ أو يَذْبَحَكَ ، ثم أتى به فلقيته النسور وعساكر الطيور ، فخوَّفوه ، وأخبروه بتوعُّد سليمان .

فقال الهدهد : ما قدري وما أنا أو ما استثنى نبيُّ الله ؟ .

قالوا : بلى .

قال : أو ليأتيني بسلطان مبين .

قال : نجوتُ إذن .

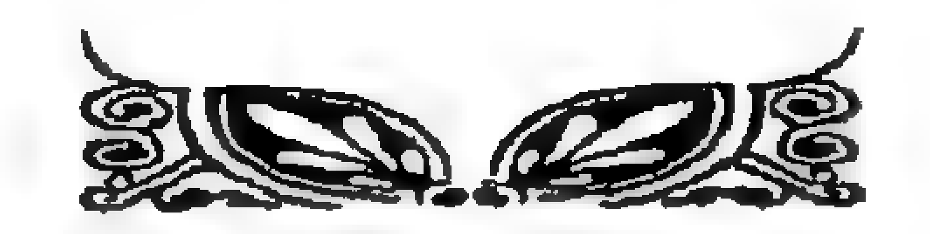
فلما دخل على سليمان رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعاً لسليمان .

فقال سليمان : أين غبت عن خدمتك ومكانك ؟، لأُعذبنَّك عذاباً شديداً أو لأذبحنَّك .

فقال الهدهد : يا نبيَّ الله ، اذكر وقوفك بين يدي الله بمنزلة وقوفي بين يديك .

فاقشعر جلدُ سليمانَ ، وارتعد وعفا عنه ، ثم سأله عن سبب غيبته ، فأخبره بأمر بلقيس .

[حياة الحيوان (١٣١/٨)] .



﴿٧٨﴾ السمكات الثلاث والصياد

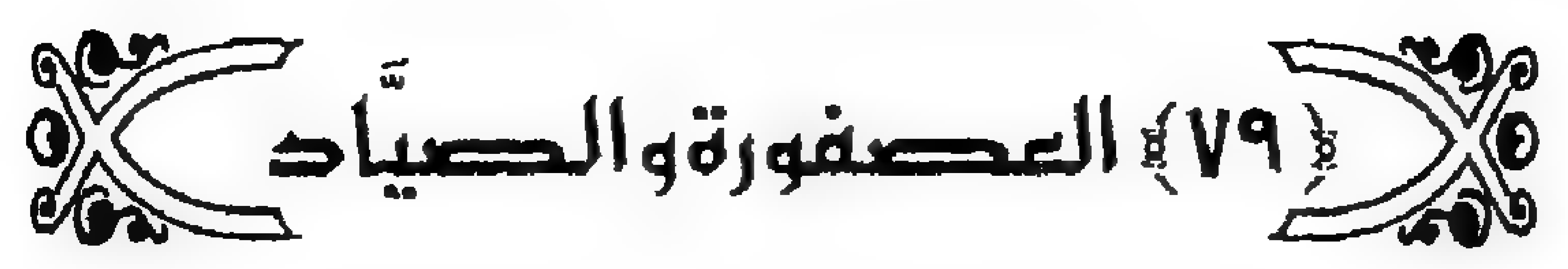
زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات كيِّسةٌ - ذكية - وأكيس منها ، وعاجزةٌ ، وكان ذلك الغدير بنجوة - ما ارتفع من الأرض - لا يكاد يقربه أحد، وبقربه نهر جار ، فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان ، فأبصرا الغدير ، فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما ، فيصيدا ما فيه من السمك .

فسمع السمكات قولهما ، فأما أكيسهُنَّ لما سمعت قولهما ارتابت بهما، وتخوفت منهما ، فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر إلى الغدير ، وأما الكيسة ، فإنها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان ، فلما رأتهما وعرفت ما يُريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء ، فإذا بهما قد سدا ذلك المكان ، فحينئذ قالت : فرطت ، وهذه عاقبة التفريط ، فكيف الحيلة على هذه الحالة ؟! .

وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاف ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ولا ييأس على حال ، ولا يدع الرأي والجهد ، ثم إنها تماوتت ، فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة ، وتارة على بطنها ، فأخذها الصيادان فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير ، فوثبت إلى النهر فنجت ، وأما العاجزة ، فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت .

[كليلة ودمنة (ص١٢٩)] .





﴿٧٩﴾ العصفورة والصيَّاد

قال الشعبيُّ :

أخبرت أن رجلاً صاد قنبرة ، فلما صارت في يده قالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ .

قال : أذبحك وآكلك .

قالت : ما أشفى من مرض ، ولا أشبع من جوع ، ولكن أعلّمك ثلاث خصال خير لك من أكلي ، أما واحدة أعلمك وأنا في يدك ، والثانية على شجرة ، والثالثة على الجبل .

فقال : هات الواحدة .

قالت : لا تلهفن على ما فاتك .

قال : فلما صارت على الشجرة ، قال لها : هات الثانية .

قالت : له لا تصدق بما لا يكون .

فلما صارت على الجبل قالت له : يا شقي لو كنت ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً .

فعضَّ على شفتيه ، وتلهف ، ثم قال لها : هات الثالثة .

قالت : أنت قد نسيت اثنين ، فكيف أحدثك الثالثة ؟! ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدق بما لا يكون ، أنا وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالاً .

قال : وطارت فذهبت .

[الأذكياء (ص٣٠٨)] .

﴿٨٠﴾ ثمن البقرة

باع بقرته التي لا يمتلك سواها بثلاثة آلاف ليرة ، وقبض الثمن ، ووضعه في كيس ثم دسه في وسطه .. وتوجَّه إلى منزله وعليه علامات الحزن والحسرة، وعلمت زوجه ببيع البقرة التي يمتلكونها ، فأخذت تُعزيه عن فقدها وتُمنيه بأن الله سيعوِّض عليهم بأحسن منها .

وجاء الليل ، وآوى الناس إلى منازلهم من شدة البرد ، وجلس الرجل «أبو حسن» وزوجه في غرفتهما المتواضعة ، وبينما كانت أم حسن تُعلِّل طفلها بالرضاع الكاذب ، لتحمله على الفطام ، إذا بطرقات خفيفة على باب الدار ، وفتح أبو حسن الباب ، فإذا برجل يرتجف من شدة البرد والمطر ، يقول : غريب ألجأني البرد إلى قريتكم ، ولا أعرف بها أحداً ، وأنا في طريقي إلى حمص .

فقال أبو حسن : ماذا نستطيع أن نقدِّم لك ، ونحن أسرة فقيرة ، وبيتنا ضيق لا يُساعدنا على استقبال الضيوف .

فقال الغريب : أرجوكم البرد شديد اسمحوا لي فقط بالمبيت عندكم حتى الصباح ، ولا أُريد أن أُكلفكم أية نفقة .

فقال أبو الحسن : ليس لدينا سوى هذه الغرفة أنام بها أنا وزوجي وطفلنا الصغير ؛ فاعذرنا لعدم وجود مكان لك .

فقال الغريب : أنام في هذه الزاوية ، وتنامون أنتم في الجانب الآخر ، ويُمكنكم أن تضعوا بيننا حاجزاً ، وأجركم على الله .

رقَّ قلب أم حسن لهذا الغريب ، وقالت : يُعيننا الله يا أبا الحسن ، ولعله

يرد عنا المصائب بحسنة هذا الضيف الغريب ...

ورحّبا بالضيف ، ثم قام كلٌّ إلى فراشه بعد أن أعدُّوا للضيف ما وجدوا من غطاء وفراش ، وما لبث أبو حسن وزوجه أن غطُّوا في نومهم ، فقد أجهدهم التعب والسهر ، كان الغريب يرقب أهل الدار حتى تيقَّن أنهم استغرقوا في نومهم ، وإلى جانبهم طفلهم الرضيع ، فقام الغريب من فراشه على أطراف أصابعه ، وراح يتحسّس موضع الطفل ، فحمله وخرج به من الغرفة ، ووضعه بعيداً في فناء الدار ... وعاد إلى فراشه ، وتظاهر بالنوم .

وأحسَّ الطفل بلسع البرد ، فراح يبكي ، فاستيقظت أم حسن على بكائه، وتحسست فراش الطفل ، فلم تجده فيه ، فأيقظت زوجها ، وقالت له : لقد حبا الطفل إلى فناء الدار ، قُمْ بنا نعيده إلى فراشه قبل أن يضره البرد .

فقاما حتى وصلا إلى الطفل ، وانحنت عليه أمه ، وضمّته إلى صدرها ، وهي تقول : لهفي عليك يا ولدي ما الذي أخرجك من فراشك في هذا البرد الشديد .

وما كاد أبو حسن وزوجه يتجهان بطفلهما نحو الغرفة حتى خرَّ السقف ، وانهدمت الدار ، فوقفا واجمين ، وسمع الجيران فرقعة الخشب ، وسقوط السقف ، فجاءوا ليُسهِموا بالإنقاذ ، فقال أبو الحسن : يا ناس عندنا ضيف في داخل الدار ، يجب أن ننقذه قبل كل شيء .

ودخل أبو حسن بصحبة بعض الجيران ، وسَعَوْا إلى موضع الضيف ، فلم يجدوه ، فأخذوا يرفعون الأنقاض حتى وصلوا إلى سرير أبو حسن ، وإذا بالضيف ميتًا تحت الأنقاض وبيده كيس النقود ، وقد أخرجه من تحت الوسادة التي ينام عليها صاحب الدار .

كان هذا اللص قد حضر السوق ، ورأى أبا الحسن وهو يبيع البقرةَ ، ويضع ثمنها في الكيس ، فقرَّر سرقة الثمن ، ورسم الخطة لاختلاس المال ، وتبع أثر صاحب البقرة من بعيد حتى رآه يدخل الدار ، فلما أذنوا له بالمبيت حمل الطفل ليلاً إلى خارج الدار ، وتركه يبكي ليخرج أهله إليه ، وعندها يتسنّى له أخذ الكيس الذي فيه ثمن البقرة ، وقد رأى أبا حسن يدسه تحت الوسادة .

كان اللص يضع الخطة ، وكان الله له بالمرصاد ، فما كاد يُنفذ خطته حتى يأذن الله أن يتعجَّل بالعقاب لهذا الماكر الشرير ، مُنكر الجميل ، وأن يُنقذ الطفل وأهله من سوء المصير ، فأوحى إلى الطبيعة ، فثارت ثورتها ، وسقط السَّقف على اللص ، فقضى نحبه تحت الأنقاض ، فإن غفل الإنسان لا تغفل يدُ الله ، وانصرف الناس ، وهم يقولون هذا مثل الجزاء السريع للذنب الفظيع .

وحقاً إن في ذلك لعبرةً لمن كان له قلب[1] .

[أنيس الصالحين (ص٢٤)] .



---

(١) مُقتبس من قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) ﴾ [ق : ٣٧] .

(٨١) الثعبان والرغيف

بينما رجلٌ في مسير له في يوم صائفٍ إذْ عدل إلى شعبٍ ، فأصاب فيه مغارة .

قال : دخلت فيها فما لبثت أن دخل عليَّ ثعبان كأنه النخلة ، فتطوَّق في شقِّ المغارة ، فجعل ينظر إليَّ ، فقلت في نفسي : لعلي رزقٌ له ، وهالني أمره ، فما لبث أن خرج من المغارة ، ثم أقبل إليَّ وفي فيه رغيفٌ حواري[1] قد ذهبت منه عضةٌ ، فوضعه عند رأسي ورجع إلى موضعه ، فتطوَّق فيه ، فقمت فأكلت الرغيف .

فلما برد النهار خرجت ، فسرت ، فلقيني رفقةٌ .

فقالوا : من أين جئت ؟ .

قلت : من هذا الشعب .

قالوا : هل رأيت ما رأينا ؟ .

قلت : وما هو ؟ .

قالوا : اعترض علينا في الرفقة ثعبان ، وقام على ذنبه ونفخ ، وكان معنا إنسان ظريف فيه أدب ، فقال : أظن هذا جائعًا . فرمى إليه رغيفًا حواري ، فأخذه الثعبان ومضى .

فقلت : أنا أكلت الرغيف ، ومضيت وخليتهم .

[صفة الصفوة (٢/٧٧٧)] .

---

(١) رغيفٌ حواري : أي من دقيق أبيض .

﴿٨٢﴾ القارئ والحدياة ﴿ الحدأة ﴾

عن حماد بن سلمة أن عاصم بن أبي النجود ، شيخ القراء في زمانه ، قال :

أصابتني خصاصةٌ ، فجئتُ إلى بعض إخواني ، فأخبرته بأمري ، فرأيت في وجهه الكراهة ، فخرجت من منزله إلى الجبَّانة ، فصليت ما شاء الله ، ثم وضعت وجهي على الأرض ، وقلت :

يا مُسبِّب الأسباب ، يا مُفتِّح الأبوابِ ، يا سامعَ الأصواتِ ، يا مُجيبَ الدعوات ، يا قاضي الحاجاتِ ، اكفني بحلالك عن حرامك ، واغنني بفضلك عمَّنْ سواك .

قال : فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي ، فرفعت رأسي ، فإذا حدأةٌ طرحت كيسًا أحمر ، فأخذت الكيس ، فإذا فيه ثمانون ديناراً وجوهرة ملفوفة في قطنة .

قال : فبعت الجوهرة بمال عظيم ، وفضلت الدنانير ، فاشتريت بها عقاراً وحمدت الله على ذلك .

[حياة الحيوان للدميرى (٣٩١/٣)] .



(٨٣) في بيته يؤتى الحكم

زعموا أن الأرنبَ وجدت تمرةً ، فاختلسها الثعلب منها ، فأكلها ، فانطلقت به إلى الضبِّ يختصمان إليه ، فقالت الأرنب : يا أبا الحُسَيْل .

فقال : سميعاً دعوت .

قالت : أتيناك لنحتكمَ إليك ، فاخرج إلينا .

قال : في بيته يُؤتى الحكم ! .

قالت : إني وجدت تمرة .

قال : حلوة فكليها .

قالت : فاختلسها الثعلب مني فأكلها .

قال : لنفسه بغى الخير .

قالت : فلطمته .

قال : بحقك أخذت .

قالت : فلطمني .

قال : حرٌّ انتصر .

قالت : فاقض بيننا .

قال : حدِّثْ الرعناء بحديثين ، فإن أبت فأربع .

فذهب هذا كله مثلاً .

[الفاخر (ص٧٦)] .



﴿٨٤﴾ حرص النملة

يُذكر أن سليمانَ صلوات الله وسلامه عليه لما رأى النملة وشدة ادخارها للغذاء استحضر نملةً وسألها كم تأكل النملةُ من الطعام في كلٍّ سنة ؟ .

قالت : ثلاث حبَّاتٍ من الحنطة .

فأمر بإلقائها في قارورة ، وسدَّ فم القارورة ، وجعل معها ثلاث حبَّاتٍ من حنطة ، ومرت سنة بعدما قالت ، ثم أمر بفتح القارورة عند فراغ السنة ، فوجد حبَّة ونصفاً .

فقال : أين زعمُك ؟ ، أنت زعمت أن قوتَك كل سنةٍ ثلاثُ حبَّات .

فقالت : نعم ولكنْ لما رأيتك مشغولاً بمصالح أبناء جنسك حسبت الذي بَقِيَ من عمري فوجدته أكثر من المدة المضروبة ، فاقتصرت على نصف القوت، واستبقيت نصفه ، استبقاءاً لنفسي .

فعجب سليمانُ من شدة حرصها ، وهذا من أعجب الهداية والعطيَّة .

[شفاء العليل (ص١٧٠)] .



(٨٥) الخنزير والأصمعي

مما حكاه الأصمعي أنه قال :

دخلت يومًا على جعفر الوزير ، فنادمته ، فقال لي : يا أصمعي ، ألك زوجة ؟ . فقلت : لا . فقال : ألا تتزوج ؟ .

فقلت : أود ذلك لكن لا ترضى بي النساء .

فقال : ولِمَ ذلك ؟ . فقلت : لبشاعة المنظر ، وبياض اللحية .

فقال : عزمت أن أهب لك جارية تتسرى بها . فقبلت يده ، فقال لبعض الخدم : ائتني بفلانة .

فخرجت جارية تفوق البدر حسناً كأنما هي من حور الجنة ، فلما وقفت بين يديه قال لها : قد وهبتك فامضي .

فلما علمت صحة المقال ، صرخت وضربت وجهها ، وقالت : يا سيدي ، أما تتقي الله في أمري ، اقتلني ، فأموت وأستريح ، ولا تعذبني بمثل هذا ، أما تنظر لبشاعة وجهه وقبح منظره ، وبياض ذقنه ، أمثل هذا يتمتع بمثلي ؟! ، ثم بكت بكاءاً شديداً .

فلما رأى ذلك قال : يا أصمعي ، تأخذ لك مني ألف دينار ثمنها وتتركها ؟ .

فقلت: نعم ، وإن لقيمتها الدنيا وما حوت من مال وزخرف ومتاع .

فأمر لي بها فقبضتها ، ثم قال : أتدري لماذا وهبتكها ؟ .

قلت : لا أدري .

قال : إنها في هذه الليلة أغضبتني ، فأردت عقوبتها بك ، ثم رحمتها لشدة بكائها وحرقتها ، فاشتريتها منك ، ثم قال لها : هلا قلت شيئًا في ذلك ؟ .

فأنشدت ارتجالاً :

لو يُمسخ الخنزير مسخًا ثانيًا لرأيته من دون قبح الأصمعي
شيخ بوجه كالح مُستقبح الله أكبر أن أراه بمضجعي
الموت دون صباح رؤية وجهه وصباح قرد خير منه وأفلح

[مختصر عجائب الدنيا (ص٢٦٣)] .



(٨٦) بلبل لا يهدأ من الصياح

حكى البويطي عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان في مجلس مالك بن أنس رضي الله عنه وهو غلام ، فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه ، فقال : إني حلفت بالطلاق الثلاث أن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح .

فقال له مالك : قد حنثت .

فمضى الرجل ، فالتفت الشافعي رضي الله عنه إلى بعض أصحاب مالك ، فقال : إن هذه الفتيا خطأ ، فأُخبر مالك بذلك ، وكان مالك مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يرده ، فقالوا لمالك : إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ .

فقال له مالك : من أين قلت هذا ؟ .

فقال الشافعيُّ : ألست أنت الذي رويت لنا عن النبي ﷺ في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن أبا جهم ومعاوية خطباني ، فقال ﷺ : « أما أبو جهم ، فلا يضع العصا عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له » . فهل كانت عصا أبا جهم دائماً على عاتقه ؟ ، وإنما أراد من ذلك الأغلب .

فعرف مالك محل الشافعي ومقداره .

[حياة الحيوان للدميرى (٢/٢٥٦)] .



(٨٧) العصفور العاشق

حكي أن فاختة كان يُراودها زوجها فمنعته نفسها ، فقال لها : ما الذي يمنعك عني ، ولو أردت أن أقلبَ لك ملك سليمان ظهراً لبطنٍ لفعلت لأجلك ؟ .

فسمعه سليمان عليه السلام ، فاستدعاه ، وقال : ما حملك على ما قلت ؟ .

فقال : يا نبي الله ، إني مُحبٌ ، والمُحب لا يُلام ، وكلام العشاق يُطوى ولا يُحكى .

وهو كما قال الشاعر :

أُريدُ وصاله ويُريدُ هجري ... فأتركُ ما أُريدُ لما يُريدُ

[حياة الحيوان للدميري (٦/٩٩٨)] .





﴿٨٨﴾ القط الناسك

قال الغراب :

كان لي جار من الصفاردة – عصفور صغير – في أصل شجرة قريبة من وكْري ، وكان يكثر مواصلتي ، ثم فقدته ، فلم أعلم أين غاب ، وطالت غيبته، فجاءت أرنب إلى مكانِ الصفرد ، فسكنته ، فكرهت أن أُخاصم الأرنب، فلبثت فيه زماناً ، ثم إن الصفرد عاد بعد زمان ، فأتى منزله ، فوجد فيه الأرنب ، فقال لها : هذا المكان لي ، فانتقلي عنه .

قالت الأرنبُ : المسكن لي ، وتحت يدي ، وأنت مُدَّعٍ له ، فإن كان لك حق ، فاستعد بإثباته عليَّ .

قال الصفرد : القاضي منَّا قريب ، فهلمي بنا إليه .

قال الأرنب : ومن القاضي ؟ .

قال الصفرد : إن بساحل البحر سنوراً [١] ، يصوم النهار ، ويقوم الليل كله، ولا يُؤذي دابَّة ولا يهريق دماً ، عيشه من الحشيش ، ومما يقذفه إليه البحر، فإن أحببت تحاكمنا إليه ، ورضينا به .

قالت الأرنب : ما أرضاني به إذا كان كما وصفت ! .

فانطلقا إليه ، فتبعتهما لأنظر إلى حكومة الصوَّام القوَّام ، ثم إنهما ذهبا إليه ، فلما بصر السنور بالأرنب والصفرد مُقبلين نحوه انتصب قائماً

---

(١) السنور : القط .

يُصلي ، وأظهر الخشوع والتنسُّك ، فعجبا لما رأيا من حاله ، ودنوا منه هائبين له، وسلما عليه ، وسألاه أن يقضي بينهما ، فأمرهما أن يقُصّا عليه القصة ، ففعلا .

فقال لهما : قد بلغني الكبر ، وثقلت أُذناي ، فادْنُوا مني ، فأسمعاني ما تقولان ، فدنوا منه ، وأعادوا عليه القصة، وسألاه الحكم .

فقال : قد فهمت ما قلتما ، وأنا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما فأنا آمركما بتقوى الله ، وألا تطلبا إلا الحق ؛ فإن طالب الحق هو الذي يفلح - يظفر - وإن قُضي عليه ، وطالب الباطل مخصوم - مغلوب - وإن قُضي له، وليس لصاحب الدنيا من دنياه شيء ولا مال ولا صديق ، سوى العمل الصالح يقدمه ، فذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غداً ، وأن يمقت بسعيه فيما سوى ذلك من أمور الدنيا ؛ فإن منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر - الطين - ، ومنزلة الناس عنده ، فيما يحب لهم من الخير، ويكره من الشر بمنزلة نفسه .

ثم إن السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا وأشباهه ، حتى أنسا إليه، وأقبلا عليه ، ودَنَوَا منه ، ثم وثب عليهما فقتلهما .

[كليلة ودمنة (ص١٨٩)] .



(٨٩) الشاة المريضة

قال الأعمش :

كانت لنا شاة نتقوّت من لبنها ، فمرضت ، فبلغ خيثمة بن عبد الرحمن خبرُ فقرنا ومرض الشاة ، وكنّا نسكن بجواره في تلك الأيام ، فدخل علينا وسألنا عن حال شاتنا ، وهل أكلت علفها أم لا ؟ وكيف حال الأولاد لمرضها وفقد لبنها ؟ .

وكان تحتي لبدة أجلس عليها ، فلما أراد الانصراف أدخل يده تحت اللبدة ، فلما ذهب أخذنا ما وضعه ، ومازال يعودنا ويسأل عن الشاة حتى تعافت ، فكان من جملة ما وصلنا به وهو يتفقّد الشاةَ ويسأل عنها في أيام يسيرة ثلاثمائة دينار ، حتى كنّا نتمنّى أن الشاة لا تبرأُ من مرضها .

[مختصر عجائب المخلوقات (ص ٢٦٢)] .



﴿٩٠﴾ الكلب والثعبان

قال ابن خلف :

وحدثني بعض أصدقائي قال : دخلت بستاناً ومعي كلبان لي قد ربّيتهما، فنمت فإذا هما ينبحان ، فانتبهت ، فلم أرى شيئًا أُنكره ، فعاودوا النبح فضربتهما ونمت .

فإذا بهما يُحركانني بأيديهما وأرجلهما كما يُوقظ النائم ، فوثبت فإذا أسود – ثعبان – قد قرب مني ووثبت ، فقتلته ، فكان سبب سلامتي .

[الأذكياء لابن الجوزى (ص٢٩٨)] .



(٩١) ديك البخيل

سهل بن هارون كان حكيمًا فصيحًا شاعراً ، وكان إليه النهاية في البخل وله فيه حكايات عجيبة ، فمن ذلك ، قال دعبل : كنا عنده يومًا ، فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعًا ، ثم قال : ويحك يا غلام ، غدّنا .

فأتاه بقصعة فيها ديكٌ مطبوخ ، فتأمله ، ثم قال : أين الرأس يا غلام ؟ .

قال : رميت به .

فقال : إني والله لأمقت من يرمي برجله ، فكيف برأسه ؟! ، ولو لم يكن فيما فعلت إلا الطيرة والفأل لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ، ومنه يصرخ الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عُرْفُهُ الذي يُتبرك به وعينه التي يُضرب بها المثل في الصفاء ، فيُقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجيب لوجع الكليتيْن ، ولم يرَ عظمٌ أهش تحت الأسنان منه ، وهب أنك ظننت أني لا آكله ، أو ليس العيال كانوا يأكلونه ؟ فإن كان قد بلغ من نُبْلك أنك لا تأكله ، فعندنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ، انظر لي أين هو .

فقال : والله ما أدري أين هو ولا أين رميت به .

قال : رميته في بطنك ، قاتلك الله .

[حياة الحيوان للدميرى (٤/٦٠٦)] .



(٩٢) العنكبوت والغار

رُوي عن أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جزى الله العنكبوت عنّا خيراً ، فإنها نسجت عليَّ وعليك يا أبا بكر في الغار ، حتى لم يرنا المُشركون ، ولم يصلوا إلينا » [١] .

وفى هذا يقول الشاعر محمد صادق :

دعـاها الإله فلبَّتْ نداهْ ... وطارت إلى الغار تبغي رضاهْ
وراحت تمد خيوطَ النجاة ... على أطهر الخلق خير الهداهْ
وتصنع منها شباك الهلاكَ ... لتصطادَ من فكَّروا في أذاهْ
فدائية عاهدت ربهـا ... بألا يمس الأذى مُصطفاهْ
فمنذ ثوى لم تنم لحظةً ... تغادر من مشركٍ أن يراهْ
تُجاهدُ في الله حقَّ الجهادَ ... وتصبر للخطب صبر الكُمَاهْ
فبوركتي يا عنكبوت الوفاءَ ... ويا حاميًا من عظيم الحماهْ
حميت الرسولَ وخلَّ الرسولِ ... وذُدتَ عن الحقِّ ظلمَ الغزاهْ
وكانت خيوطُك أقوى الخيوط ... فلم تقتحمها جيوش الطغاهْ
فسبحان ربي الذي لا يموتُ ... بأضعف أجناده قد حماهْ
ومن يعتصمْ بإلهٍ قديرٍ ... يسخَّرْ له كلَّما في الحياهْ

---

(١) قال الألباني في الضعيفة (٣/٣٣٩) : « .. أعلم أنه لا يصح في حديث عنكبوت الغار والحمامتين على كثرة ما يذكر في بعض الكتب والمحاضرات التي تلقى بمناسبة هجرته ﷺ شيء فكن من ذلك على علم » .

(٩٣) ذئب يتكلم ويشهد بالرسالة

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : عدا الذئب على شاة ، فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه ، فقال: ألا تتقي الله ؟! ، تنتزع مني رزقًا ساقه الله إليّ ، فقال : يا عجبي ذئب يُكلمني كلام الإنس ! .

فقال الذئب : ألا أُخبرك بأعجب من ذلك ؟محمد ﷺ بيثرب يُخبر الناس بأنباء ما قد سبق .

قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها أي زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ ، فنودي الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي :« أخبرهم » ، فأخبرهم .

فقال رسول الله ﷺ :« صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يُكلِّمَ السباعُ الإنسَ ، ويُكلِّمَ الرجلَ عذبةُ سوطِهِ ، وشراكُ نعله ، ويُخبره فخذُه بما أحدثه أهله بعده » .

[رواه أحمد (٣/٨٣) وصحَّحه الألبانى (الصحيحة ١٢٢)] .



﴿٩٤﴾ البقرة والسلطان

خرج كسرى في بعض الأيام للصيد ، فانقطع عن أصحابه ، وأظلته سحابة ، فأمطرت مطراً شديداً حال بينه وبين جنده ، فمضى لا يدري أين يذهب ، فانتهى إلى كوخ فيه عجوز ، فنزل عندها ، وأدخلت العجوز فرسه ، فأقبلت ابنتها ببقرة قد رعتها ، فاحتلبتها ، فرأى كسرى لبنها كثيراً ، فقال : ينبغي أن نجعل على كل بقرة خراجاً ، فهذا حلاب كثير .

ثم قامت البنت في آخر الليل لتحلبها فوجدتها لا لبن فيها ، فنادت : يا أماه ، قد أضمر الملك لرعيته سوءاً .

قالت أمها : وكيف ذلك ؟ .

قالت : إن البقرة ما تبز بقطرة من لبن .

فقالت لها أمها : اسكتي ، فإن عليك ليلاً .

فأضمر كسرى في نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم ، فلما كان آخر الليل ، قالت لها أمها : قومي احلبي .

فقامت ، فوجدت البقرة حافلاً ، فقالت : يا أماه ، قد والله ذهب ما في نفس الملك من السوء .

فلما ارتفع النهار ، جاء أصحاب كسرى ، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه ، فأحسن إليهما ، وقال : كيف علمتما ذلك ؟ .

فقالت العجوز : أنا بهذا المكان منذ كذا وكذا ، ما عُمل فينا بعدلٍ إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا ، وما عُمل فينا بجورٍ إلا ضاق عيشنا وانقطعت مواردُ النَّفع عنّا .

[حياة الحيوان للدميرى (٢/٢٤٣)] .

﴿٩٥﴾ جمل يبكي ويشكو للنبي ﷺ

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال :

أردفني رسولُ الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أُخبر به أحداً أبداً ، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل ، فدخل يومًا حائطاً من حيطان الأنصار ، فإذا جملٌ قد أتاه ، فجرجر وذرفت عيناه .. فلما رأى رسول الله ﷺ حنَّ وذرفت عيناه .

فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه ، فسكن ، فقال : « من صاحب الجمل ؟ » ، فجاء فتى من الأنصار قال : هو لي يا رسول الله ، فقال : « أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله لك ، إنه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتدئبه » .

[رواه مسلم (٢٦٨/١)] .



(٩٦) خبر الجساسة العجيب

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، أخت الضحَّاك بن قيس رضي الله عنه أنها سمعت مُنادي رسول الله ﷺ يُنادي : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، قالت : فصليت مع رسول الله ﷺ ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم .

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : « ليلزم كل إنسان مُصَلاهُ » ، ثم قال : « أتدرون لم جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم ؛ لأن تميمًا الداري ، كان رجلاً نصرانيًا ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال » .

حدثني أنه ركب في سفينة بحرية ، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرفؤوا [١] إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب السفينة [٢] ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب [٣] ، كثير الشعر ، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلك ، من أنت ؟ .

فقالت : أنا الجسَّاسة .

قالوا : وما الجسَّاسة ؟ .

قالت : أيها القوم ، انظروا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق .

---

(١) أرفؤوا : التجؤوا إليه .

(٢) أقرب : جمع قارب .

(٣) أهلب : كثير الشعر غليظه – لعلها الدب – .

قال : لما سمَّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة .

قال : فانطلقنا سراعًا ، حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا ، وأشده وثاقًا ، مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ، من أنت ؟ .

قال : قد قدرتم على خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟ .

قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم [١] ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقربها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر ، لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ما أنت ، فقال : أنا الجسَّاسة ، قلنا : وما الجسَّاسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة .

قال : فأخبروني عن نخل بيسان [٢] . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ .
قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟. قلنا : نعم. قال : أما إنه يوشك أن لا يُثمر.

قال أخبروني عن بحيرة طبرية [٣] . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ .

قال هل فيها ماء ؟ . قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .

قال : أخبروني عن عين زغر . قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ . قال : هل في العين ماء ؟ ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ . قلنا له : نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

---

(١) اغتلم : هاج وجاوز حده المعتاد .
(٢) بيسان : إحدى مدن فلسطين .
(٣) طبرية : بحيرة عذبة الماء في فلسطين .

قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ . قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ . قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ .

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ . قلنا نعم .

قال : أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه ، وإني مخبركم عني ، إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج ، فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، إلا مكة وطيبة [1] ، فهما محرمتان علي كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما ، استقبلني ملك بيده السيف صلتا [2] ، يصدني عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكةً يحرسونها .

قالت : قال رسول الله ﷺ ، وطعن بمخصرته في المنبر : « هذه طيبة ، هذه طيبة » يعني المدينة ، « ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » ، فقال الناس : نعم ، « فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا، بل من قبل المشرق، ما هو [3] من قبل المشرق ، ما هو من قبل المشرق ما هو » وأومأ بيده إلى المشرق .

قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ .

[رواه مسلم (٢٩٤٢/٣)] .



---

(١) طيبة : المدينة .

(٢) صلتاً : مسلولاً .

(٣) ما هو : قال القاضي – يعني العياض – لفظة (ما هو) زائدة ، صلة للكلام ، ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه في جهة المشرق .

﴿٩٧﴾ تواضع ملك الغابة للحمال

نقل أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ في « محن الصوفية » أن بنانًا الحمَّال قام إلى وزير خمارويه صاحب مصر – وكان نصرانيًا – فأنزله عن مركوبه ، وقال : لا تركب الخيل وغيرها ، كما هو مأخوذ عليكم في الذمة ، فأمر خمارويه بأن يؤخذ ويوضع بين يدي سبع ، فطُرح ، فَبَقِيَ ليلة ثم جاءوا والسبع يلحسه وهو مستقبل القبلة ، فأطلقه خمارويه واعتذر إليه .

قال أبو علي الروذباري : كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمَّال ، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف ، فأمر به أن يلقى بين يدي سبع ، فجعل السبع يشمه ولا يضره ، فلما أُخرج من بين يدي السبع قيل له : ماذا كان في قلبك حين شمَّك ؟ .

قال : كنت أتفكر في سؤر السباع ولُعابها [١] .

[سير أعلام النبلاء (١٤/٤٨٨/٤٨٩)] .



---

(١) يُريد أهو طاهر أم ينقض الوضوء ، وهذا دليل على شدّة تعلّقه بربّه وحرصه على طهارته – رحمه الله – .

(٩٨) سفينة والأسد

عن ابن المنكدر أن سفينةَ مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيشَ بأرض الروم ، أو أُسر ، فانطلق هاربًا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث [١] أنا مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيت وكيت ، فأقبل الأسد له بصبصة [٢] ، حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوتًا أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه ، حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد .

[رواه الحاكم وصحَّحه الألباني في المشكاة (٥٩٤٩/٢)] .



(١) كنية الأسد .
(٢) تحريك الذنب .

(٩٩) الضفادع وآل فرعون

قال القرطبيُّ عن الضفادع :

لما تسلطت على فرعون جاءت ، فأخذت الأمكنة كلها ، فلما صارت إلى التنور وثبت فيها ، وهي نار تُسعَّر ، طاعةً لله ، فجعل الله نقيقها تسبيحاً .

يُقال أنها أكثر الدواب تسبيحاً .

قال عبد الله بن عمرو ﵄ : « لا تقتلوا الضفدع ، فإن نقيقَه الذي تسمعون تسبيح » .

فرُوي أنها ملأت فرشهم وأوعيتهم وطعامهم وشرابهم ، فكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ، وإذا تكلم وثبت الضفدع في فيه .

[الجامع لإحكام القرآن] .



﴿١٠٠﴾ الأفعى والعابد

عن عبد الله بن الفرج العابد قال :

أُطلعت على إبراهيم بن أدهمَ بالشام في بستان وهو نائم وعند رأسه أفعى في فيها طاقةُ نرجس تذُبُّ عنه [1] .

وإبراهيم هذا قال عنه مخلد بن الحسين : ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله ، فأغتم ثم أتعزَّى بهذه الآية ﴿ ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ واللهُ ذُو الفضْلِ العَظيم ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد : ٢١] .

[صفة الصفوة (٧٩٠/٢)]



---

(١) تذبُّ عنه : تطرد عنه الذباب ، والمذبّة : (المنَشّة)

(١٠١) عصفور الجنة

الخطاف ، هذا الطائر يُعرف عند الناس بعصـفـور الجنّة ؛ لأنه زهد ما في أيديهم من الأقوات ، فأحبوه ؛ لأنه إنما يتقوّتُ بالذباب والبعوض .

قال القشيرى :

أن خطافًا راود خطافةً على قبّة سليمانَ عليه الصلاة والسلام ، فامتنعت منه ، فقال لها : أتتمنعين عليَّ ولو شئت لقلبتُ القبّةَ على سليمان ؟ .

فسمعه سليمانُ عليه السلام ، فدعاه وقال له : ما حملك على ما قلت ؟ .

فقال : يا نبي الله ، العشاق لا يُؤاخذون بأقوالهم ! .

[حياة الحيوان للدميرى (٥١١/٣)] .




فهرس

الفهرس



في هذا الكتاب



